وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الاجتماعية

معهد الفلسفة

مذكرة ماجيستر

مفهوم الضحك في الخطاب الفلسفي

هنري برغسون نموذجا

من إعداد الطالب

دراني محمد

الأستاذ المشرف

د/ بهادي منير

سنة 2012/2011.

ملخص مذكرة ماجيستر
مفهوم الضحك في الخطاب الفلسفي
هنري برغسون نموذجا

من إعداد الطالب **الأستاذ المشرف**
دراني محمد **د/ بهادي منير**

خلاصة:

يُعد الضحك مَلكة إنسانية ، فهو موجود في الإنسان و لا يوجد في الحيوان ، وهو شكل من أشكـــال التعبير الإنساني مثله مثل اللغة ، له دلالات مختلفة سواء على صعيد النفسي أو الاجتماعي ، فلايمكن تصور مجتمع من المجتمعات خالي من هذه الخاصية الإنسانية، فقد وجدت محاولات عديدة عبر التاريخ الفكر البشري لتفسير ظاهرة الضحك ،ومن خلال ذلك طرحنا عدة أسئلة حول ماهية حقيقة الضحك ؟ فلماذا نضحك؟ ومما نضحك؟ وماهي قيمة الضحك؟.

انطلاقا من هذه الأسئلة حاولنا صبر أغوار تاريخ الفكر البشري ، الذي حاول تحديد مفهوم الضحك و طبيعته، فتناولنا بعض الفلاسفة الذين كانت لهم أراء مختلفة حول تفسير وتحليل هذه ظاهرة .

ففي الفلسفة اليونانية ، كان أفلاطون أول من تطرق بالبحث في هذه الظاهرة في بعض محاوراته وأبرزها محاورة فيلابوليس، حيث ذمّ الضحك وجعله مقتصرا على طبقات الدنيا ، والضحك نتاجه جهل الذات بذاتها . أما أرسطو فقد نقل الضحك من دراما الحياة إلى حياة الدراما، و المضحك عنده هو شيء قبيح تم تشويهه بحيث لا يحدث ألما.

أما في الفلسفة الأوروبية فتطرقنا إلى الضحك عند كانط ، حيث صنف الضحك ضمن الفنون الممتعة التي لها علاقة بالإحساسات العابرة خلافا للفنون الجميلة التي ترافقها نوع من أنواع المعرفة والضحك ناتج عنده من التوقع الذي يؤدي إلى لاشيء.

ثم أكد شوبنهاور أن الضحك يكون عند إدراك التناقض بين المتصور و المدرك بين الفكرة و الواقع.

أما في الفكر العربي تم استعمال الضحك كأسلوب من أساليب التعبير النفسي و الاجتماعي كالجاحظ و ابو حيان التوحيدي من خلال تقويم وتهذيب نقائص الفرد من جهة ومن جهة أخرى الترويح والتنفيس عن فترات الكد والجد.

وأخيرا خصصنا هذا الفصل للفيلسوف هنري برغسون ، الذي اهتم بهذه الظاهرة بدرس و التحليل حيث كان الضحك عنده لا يخرج عن دائرة فلسفته العامة ، فقد أكد أن الضحك ينشأ من تلبس الحياة بالجمود و التصلب ،فتتحول إلى مجرد آلة اتوماتكيية ،وهو وسيلة تصحيحية للعيوب الفردية.

الكلمات المفتاحية هي:

الضحك، الكوميديا ، السخرية ، المحاكاة التهكمية' التهكم السقراطي ، التناقض في المعني ، الفكاهة التلاعب اللفظي ، الكاريكاتير، المتعة و المرح.

خطة البحث:

الفصل الأول: طبيعة الضحك

المبحث الأول: ظاهرة الضحك

- 01- الضحك ظاهر إنسانية
- 02- الضحك ظاهرة فسيولوجية ونفسية
- 03- الضحك ظاهرة استطيقية

المبحث:الثاني: أنواع الضحك

- 01-الضحك
- 02-الابتسام

المبحث الثالث: بواعث الضحك

الفصل الثاني: الضحك في الخطاب الفلسفي

المبحث الأول: الضحك في الفكر اليوناني

- 01-أفلاطون
- 02 -أرسطو

المبحث الثاني:الضحك في الفكر الغربي

- 01 -كانط
- 02-شوبنهاور

المبحث الثالث: الضحك في الفكر العربي

- 01-الجاحظ
- 02-أبو حيان التوحيدي

الفصل الثالث: مفهوم الضحك عند برغسون

المبحث الأول : لمحة عن حياة برغسون و فلسفته.

المبحث الثاني: دلالة الضحك عند برغسون.

- **خصائص الضحك عند برغسون**

المبحث الثالث: محاور الضحك عند برغسون

- **مضحك الإشكال والحركات**
- **مضحك الظروف و الكلمات**
- **مضحك الطباع**
- **وظيفة الضحك الاجتماعية**
- **نقد نظرية برغسون**

الخاتمة.

مقدمة:

إن ظاهرة الضحك وجدت مع وجود الإنسان فعمرها عمر الإنسان و هو الكائن الوحيد الذي يتميز بهذه الصفة عن جميع الكائنات الأخرى, وهي مرتبطة به منذ الطفولة فتتغير وتتبدل ملامحه ولاتتغير طبيعة ضحكه, إلاأنه لم تتعرض هذه الظاهرة بالدراسات والأبحاث في ماهيتها الفلسفية وأهميتها الاجتماعية من طرف الفلاسفة والمفكرين إ لا في العصر الحديث ففي تاريخ الفلسفة القديمة لم يكن الضحك موضوعا للبحث العلمي و الفلسفي مثل الموضوعات الأخرى كالبحث في أصل الوجود والعالم والنفس الإنسانية الخ.....

ولكن رغم هذا الإجحاف العلمي في حق الضحك ظهرت بعض الاهتمامات الفلاسفة وإرهاصات أولية في الفكر اليوناني بهذه الظاهرة و حاولوا تفسيرها تفسيرا يتماشى مع أنساقهم الفكرية فتداخلت آراءهم للوقوف على سر هذه الظاهرة في معرفة أسبابها مثل: الفيلسوف هريقليطس الذي كان يلقب بالفيلسوف الضاحك ولما سئل لماذا تضحك قال: حتى لا ابكي لأنه كان ينظرإلى الحياة نظرة اجتماعية. أما الفيلسوف ديمقريطس فسلك نهجا مغايرا للفيلسوف الضاحك, فكان يلقب بالفيلسوف الحزين .

ولكن لم يتبلور مفهوم الضحك كظاهر فلسفية واجتماعية إلا مع نشأة علم الجمال الذي يبحث في الانسجام والتناسق الموجود في الأشياء المادية و المعنوية.

فإذا كان الضحك موضوع فلسفة الجمال ' فهل هو نتيجة وجود الانسجام و التناسق في المضحك؟ أم عدم وجود الانسجام والتناسق في المُضحك هو سبب الضحك؟

انطلاقا مما سبق وضعنا عدة أسئلة عامة وهي:

ماهوالضحك؟ وماهو موقعه في الخطاب الفلسفي؟

ولماذا نضحك؟ ومما نضحك؟

وهل للضحك قيمة جمالية؟ وقيمة اجتماعية؟

ففي هذه الدراسة الاكادمية حولنا الوقوف عند سر هذه الظاهرة من خلال استنطاقنا لتاريخ الفلسفة حول موضوع الضحك عند بعض الفلاسفة الذين تناولوا الضحك وحاولوا تفسيره وصبر أغواره.

وللإجابة على هذا الموضوع وضعنا عدة تساؤلات هامة نحاول الإجابة عنها في خطة منهجية للبحث في هذا الموضوع وهي:

- ماهو مفهوم الضحك في الفكر اليوناني؟

- هل توجد فلسفة الضحك في الفكر العربي؟

- ماهو الضحك في الفلسفة الغربية؟ كيف كان ينظر برغسون إلى الضحك ؟

-ما هي دلالاته؟ وهل للضحك قيمة فنية واجتماعية؟

ومن خلال هذه التساؤلات قسمنا البحث إلي ثلاثة فصول أساسية.

الفصل الأول: طبيعة الضحك

وهو فصل أولى تطرقنا فيه إلى مختلف التعاريف الضحك ثم طرحنا أسئلة حول بواعث الضحك و أ سبابه المتنوعة وعرجنا على أنواع هذه الظاهرة وأشكالها المتعددة بالإضافة إلي تناولنـــا للضحك كظاهرة إنسانية وفسيولوجية وأخيرا هل الضحك يحقق قيم استطيقية؟

الفصل الثاني: الضحك في الفكر الفلسفي

وفي هذا الفصل تطرقنا إلى مفهوم الضحك وبواعثه عند أفلاطون حيث أ عتبر هذا الأخير أول من تطرق إلى الضحك في محاوراته التي يغلب عليها أسلوب التهكم و السخرية على لسان أستاذه سقراط للوصول إلى الحقيقة فهو لم يتناول الضحك من باب الاستحسان والتفضيل، بل من وجه آخر من باب الإنكار و الابتعـــاد منه وبصفة خاصة عند طبقة الفلاسفة و الحكام.

ثم كيف عالج تلميذه أرسطو هذه الظاهرة ؟ حيث ارتبطت عنده بالقيمة الأخلاقية فهو من أنصـــار الضحك المعتدل الذي لا يسبب الضرر و الألـم لغيره، وهو أول من إنتقل بهذه الظاهرة من الحيـاة إلـى المسرح.

وبعد ذلك بحثنا في الفكر العربي هل تطرق إلى مثل هذه الدراسات؟ فوجدنا الجاحظ ومن بعده ابوحيان التوحيدي ،فكان الجاحظ أول من تناول في كتاباته الأدبية الهزلي ومثيراته ،وفي المبحـث الثالـــث تناولنا مفاهيم الضحك وأسبابه في الفلسفة الغربية ، وأعتمدنا في ذلك على فيلسوفان أولهما ، أب الفلسفة النقدية كانط حيث طرح نظرية جديدة في الضحك مؤداها أن الضحك نابع من التوقع الذي يؤدي إلى لاشئ ، ثم من بعده فيلسوف التشاؤم الذي يرى أن الضحـك نابع من إدراكنا للتنـــاقض الموجـــود في المواقف المضحكة، أي إدراك التناقض فجأةبين الفكر و الواقع، بين التصورات الذهنية و المدركات الحسية.

الفصل الثالث:

و أخيرا تناولنا الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون كنموذج لفلسفة الضحك ، حيث بحثنا كيف درس ظاهرة الضحك انطلاقا من تأثره بنظريات الفلاسفة السابقين عليه .

فقمنا بتحليل فلسفة برغسون حول نظرته إلى الضحك والمضحك ودلالته الفنية و الاجتماعية حيث أن الضحك لديه مرتبط بكل ما هو إنساني ولا يكون إلا بمعزل عن الانفعالات الإنسانيـــة كما لا يمكن تصور الضحك خارج الجماعة, بالإضافة إلى وظيفته الاجتماعية في تصحيح وتقويم السلوكيـــات السيئة للفرد و رده إلى حظيرة الجماعة.

أماالأسباب التي دفعتنا إلي البحث في هذاالموضوع، هو أولا قلة الدراسات والبحـــوث حول هذه الظاهرة المعقدة' بالإضافة إلي الفضول الداخلي لمعرفة والوقوف على ماهية الضحك، حيث انه يعتبر من العناصر الأساسية في حياة الأفراد، التي لها أثرٌ فعّال في التواصـــل والتفاعـــل الاجتماعـــــي وبالتالي تحقيق ديمومة واستمرارية في الحياة، وعلى سبيل المثال:

نجد أن الابتسامة أضْحت لغة حضارية من شانها أن تُزيل كثيـــر من العوائق بين الافرد المجتمـــــع وتسهيل عمليات التواصل وتحقيق ا لمصالح الفردية و الجماعية سواء على المستوىالاجتماعـــــي أوالاقتصادي.

غياب ثقافة الضحك في مجتمعنا و على كل المستويات الاجتماعية و السياسة،وكل ما يندرج تحت هذا المفهوم من السخرية والابتسامة و التهكم والفكاهة ،وأثره على الفرد والمجتمـــع. بالإضافة لَمَّا كان مفهوم الضحك يوحي بالسعادة والمرح و الترويح النفسي ، و هو الضحك الخالص الذي لا يؤدي الى ضرر أوألم والمقبول نفسيا و اجتماعيا إلى حـــدٍ ما، وهذا في مقابل مفهوم الغضاضـــة والتجهـــم والعبوس من الآخر،حيث يمكن أن تكون هذه الصفات مرآة عاكسة لألام النفسية و الأحزان أو تعبيرا عن التكبر و الغرور، وهي غير مُحبذة لا نفسيا ولاإجتماعيا ،والتي تعمل النفس البشرية جـــاهدة على التخلص منها، وحتى في تراثنا الاسلامي نجد في القرأن الكريم في سورة"عبس" أن الله

سبحانه وتعالى يعاتب رسوله الكريم(ص) عن الصحابي الذي جاء يستفسر دينه، فقال:

" عبس و تولى، أن جاءه الأعمى".01.

وهو تنبيه من الذات الإلهية الى الانسان عموما أن يتحلى ويتخذ الابتسامة و طلاقة الوجه أسلوبا في حياته مع الآخر.

فمن خلال ما ذكرته سابقا ،إرتأيت أن أخوض عُباب بحر الضحك وما يندرج تحته من مفاهيم مختلفة معتمدا على المنهج التحليلي و النقدي.

01- القران الكريم سورة(عبس) الايةرقم:01-02

الفصل الأول:

طبيعة الضحك

الفصل الأول: طبيعة الضحك

المبحث الأول: ظاهرة الضحك

01- الضحك ظاهرة إنسانية:

إن الضحك ظاهرة من الظواهر الإنسانية يختص بها الإنسان وحده دون غيره من الكائنات, ويعتبر مثل اللغة و النطق، وكما يقال بأن الإنسان حيوان ناطق فهو كذلك حيوان مُضحك في نفس الوقت فنحن نضحك إما على إثر استثارة عقلية مثل: النكتةأو جسدية مثل:الدغدغة وهورد فعل تشترك فيه عضلات الوجه مع الجهاز الصوتي والتنفسي للإنسان (1).

ويوجد الضحك في الحياة الإنسانية العامة كما نجده في بعض الفنون الكوميدية التي لها صلة بالضحك ' فلا يمكن تصور علاقات اجتماعية بين الأفراد لا يتخللها عنصر الضحك فهو موجـــود في المجتمع حتى بدون مثيرات 'ومع تطور الفكري البشري انتقلت دراسة الضحك من الواقع الإنســاني إلى فـن الكوميدي, ويعتبر أرسطو من بين الفلاسفة الذين غيروا مسار الضحك من مسرح الحياة إلى حيـاة المسرح. وحتى في الحضارة الصينية نجد كنفوشيوس عدَ الضحك علامة على الحكمة ، فكان يدعوا أتباعه الى الضحك و القهقهة أثنة عشرة في اليوم.(2)

ولقد جاءت عدة تعريفات حول مفهوم الضحك في أمهات الكتب العربية فقد جاء في دائرة المعارف القرن العشرين:

- الضحك يضحك ضحكا ضد بكي
- ضاحكه,ضحك معه,أضحكه حمله على الضحك
- تضاحك واستضحك بمعنى ضحك
- الضحاك :كثير الضحك

01 نهاد صليحة (المسرح بين الفن و الحياة) مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة2000. ص/121
02-جريد الجزائر نيوز بتارخ29/اكتوبر 2010.

- الضحكة : من تضحك عليه الناس

- الأضحوكة :مايضحك منه جمعه: أضاحيك(1)

وجاء في كتاب فقه اللغة وسر العربية:

"بأن التبسم هو أولى مراتب الضحك ثم الاهلاس وهو إخفاءه ثم الافترار الانكلال وهما الضحك الحسن ثم الكتكتة أشد منها ,ثم القهقهة , ثم الكركرة ثم الاستغراب ثم الطخطخة وهي أن يقول طيخ.طيخ, ثم الاهزاق والزهزقة وهي أن يذهب الضحك به كل مذهب"(2).

أما في لسان العرب فجاء في الضحك مايلي:

" الضَحك: معروف ضِحك يضحَك ضَحكا وضِحكا أربع لغات , وفي الحديث يبعث الله السحاب فيضحك :أحسن الضحك :جعل انجلاءه عن البرق ضحكا استعارة و مجازا كما يفترالضاحك عن الثغر, وكقولهم ضحكت الأرض أخرجت نباتها وزهرتها,و تضاحك فهوضاحك وضحاك وضحوك وضحكة :كثيرالضحك و الضحكة الرجل كثير الضحك يعاب عليه ورجل ضحاك نعت على فعال وضحكت به ومنه بمعنى وتضاحك الرجل واستضحك بمعنى . قال ابن الأعرابي: الضاحك من السحاب مثل العارض إلا أنه إذا برق قيل ضحك الضاحكة كل سن مقدم الأضراس مما يندر عند الضحك, والضحك ظهور الثنايا من الفرح والضحك العجب و الضحك :الثغر الأبيض و الضحك العسل وقيل الضحك الشهد , وقيل الضحك الزبد وقيل الثلج الضحك أيضا طلع النخل حين ينشق والضحك:النوروضحكت المرآة حاضت وبه فسر بعضهم قول الله تعالي"فضحكت فبشرنها بإسحاق" وفسر على معنى العجب أي عجبت من فزع إبراهيم"(3).

01 -محمد فريد وجدي – (دائرة المعارف القرن العشرين الجزء الخامس) – ط/ لبنان بيروت دار المعرفة ص/248

02- ابو منصور الثعالبي(فقه اللغة وسر العربية) دار الفكر العربي بيروت 1999 لبنان ص336

03-ابن منظور لسان العرب المحيط ج2 تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي – اعداد يوسف الخياط (بيروت ؛دار لسان العرب؛ ص/266

فمن خلال هذه التعاريف المختلفة نلاحظ أن للضحك عدة معاني منها ماهو مرتبط بالإنسان ومنها ما هو مرتبط بغير الإنسان ويمكن القول أن الضحك شكل من أشكال التعبير الإنساني ولا يكون الضحك إلا نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته .

وضحك عموما يكون إما ابتساما أوضحكا معتدلا أو ضحكا مفرطا ، وهو الذي يخرج الإنسان من دائرة الأدب و الاحترام. وأيا ما كان القول في تعريف الضحك وتعليله, فمن أصح الأقوال مع جميع التعريفات و التعليلات ,أن الضحك كما قال برغسون:ملكة إنسانية , فلا يضحك إلا الإنسان وما من شيء يضحكنا إلا أن يكون إنسانيا في صورة من صوره ولو على سبيل التشبيه(1)

وهذا ما سيأتي بيانه وتفصيله في الفصل الثالث حول فلسفة الضحك عند برغسون ،فإذا كان الضحك ملكة إنسانية فكيف تكون ملامحه الفسيولوجية؟

02-الضحك ظاهرة فسيولوجية ونفسية:

والضحك كماهو معلوم عند المفكرين هو ظاهرة فسيولوجية ونفسية يعتمد على حركات التنفس الموجهة إلى الخارج من خلال اندفاع الهواء علي نحو مفاجئ من الرئتين فتنتج منهما أصوات للضحك, حيث اعتبر صوت الضحك المحور الذي دفع الفلاسفة إلي البحث في ماهية هذه الظاهرة .

ولقد جاء في معجم الفلسفي لجميل صليبا مايلي:

"الضحك هو الانبساط في بعض العضلات الوجه , مصحوب بزفير متقطع, وصوت مسموع بسبب التعجب أو سرور شديد يحصل للضاحك وهو اسم جنس تحته نوعان التبسم والقهقهة وهي ضحك تبدو مع النواجذ,و التبسم ضحك ساخر وهازئ"(2).

01--عباس محمود العقاد -جحا الضاحك المضحك-ط- دار الكتاب العربي بيروت لبنان1969)ص40

02جميل صليبا – المعجم الفلسفي الجزء الاول دار الكتاب البناني 1982 ص/754

وفي الضحك يتشنج الحجاب تشنجا عفويا,ويتقطع التنفس على شكل دفعات زفيرية متسلسلة مصوتة تتخللها فترات قصيرة من الشهيق ويزداد الضغط الرئوي الداخلي وإذا اشتد الضحك عَــاق الدورة الدموية في الرئتين فاحتقن العنق و الوجه ويرافق الضحك تقلص في بعض عضلات الوجه و تكاد تشترك جميع ملامح الوجه فيه, وأشد هذه الملامح تعبيرا عن الضحك الوجه .(1)

وقديما قال شيشرون أن الضحك يبدأ بالفم وينتشر تدريجيا إلى كامل الوجه ثم يغطي الجسد كلــه.

والضحك ينتج عن بعض التأثيرات الفسيولوجية كالدغدغة , وبفعل بعض المخدرات مثل غازالاكسيد الازوتي فإذا استنشقه الإنسان تخدر وسر وغلب عليه الضحك .

و يعلل الضحك في بعض الحالات العصبية بصرف نصيب من الطاقة العصبيــة في أسهل الطــرق المقاومة وهو تقلص بعض العضلات اللطيفة في الوجه وعند ذلك يكون تفريغ للشحنة العصبية, فهو بذلك تنفسي وتفريغ, وهذاوالسر الذي يربط بين الضحك والبكاء،لأن في كل تخفيفا ،فقد يؤدي السرور الهاجم إلى البكاء, كما قد يضحك الإنســـان من الألم.(2)

وإذا كان الإنسان حيوان ضاحك كما ذكرنا سالفا, فمعنى ذلك أن الضحك فطري لا يكتسبه بالتجربة والتعلم بل غريزة مرتبطة بالإنسان و لا يتأثر بتقدم السن بل هو طبيعة واحدة لا تتبدل.

والضحك في رأي العالم النفسي الانجليزي وليم مكدوجل(1871-1983) له وظائــف فسيولوجيــة متنوعة مثل تنشيط الدورة الدموية,وعملية التنفس وزيادة ضغط الدم, وزيادة تدفق الدم إلى المخ كما انه له وظائف سيكولوجية مثل:زيادة الشعوربانتشاء من خلال إيقاف كل مواصلــة أواستمــرارفي التفكير وكذلك إيقاف كل نشاط جسمــي أو عقلــي متواصل.(3).

يعتبر هذا الرأي أقرب إلى فلسفة الضحك عند برغسون المبنية على الجمود والآليــة في الفكــر.

01-عبد الكريم اليافي – دراسات ت فنية في الأدب العربي-مكتبة لبنان طبعة الأولي 1992 ص50

02- نفس المرجع عبد الكريم اليافي –ص/51

03د/عبد حميد شاكر –الفكاهة والضحك رؤية جديدة- عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت ص:125

وعموما إن الضحك لا يكون إلا نتيجة الفرح و الابتهاج و الانتصار, فنحن نضحك لمّا نعيش حياة ملؤها السعادة و التفاعل الاجتماعي الايجابي.

إننا نضحك كذلك لما نسمع نكتة أو نادرة وهذا النوع من الفكاهة هو الذي يهمنـــا لأنه يحصل من الشعور بالهزل أي حين يكون الموضوع هزليا, حينئذ يدخل الضحك في الدراسات الأدبية ونجد له قيمة جمالية فنية.

03-الضحك ظاهرة جمالية:

لقد جاء في كثير من كتب مُنظري فلسفة الجمال ، أن الجمال هو كل شيء يعكس الانسجام و التناسق ويبعث على السرور و الارتياح النفس, وهذا بخلاف الضحك الذي يقوم على عدم الانسجـــام وعدم التناسب والاختلال في الموقف الواحد والتناقض في كل ما هو منطوق أومكتوب ،فهل للضحك قيمـــة جمالية؟وهل له دلالة فنية ؟

لقد أشرنا سابقا أن الضحك الذي ينشأ من الشعور بالهزل هو موضوع فلسفة الضحك حيث يرتبط هذا النوع من الضحك بالأبعاد الفنية والدلالات الجمالية.

فقد يضحك الفرد من دون عوامل فزيولوجية ونفسية،كالضحك حول فُكاهة يسمعها أو نكتة من شخص آخر ، وهذا النوع من الضحك الذي ينشاء عن الشعور بالهزل هو الذي له دلالة فنية حيث يقـوم على عنصر المفارقة ، وهو الأمر الذي ينقلنا من حال متوقع مألوف، إلى حال مفاجئ فيه تضاد و تناقض حيث من خلال إدراك هذه المفارقات يشعر المرء بالمتعة .

فالإنسان لا يضحك بدون سبب بل تولد لديه الضحك نتيجة إحساسه بالمتعة واللذة في الشيءالمُضحك وحتى يتم التمتع بجمالية المضحكات, لابد من أن تكون المشاركة الوجدانية بعيدة ومنعزلة عن الوقائع والمواقف التي تثير السخرية.

إن أي محاولة لإيجاد معنى في مضحكاتنا سنتوقف عن الضحك , ويصيبنا الضيق فكلمـا تضاء لت قدرتنا على المشاركة الوجدانية مع الناس زاد استمتاعنا بحماقتهـم فلذة التهكم قريبة من القسوة وكلما حلت المشاركة الوجدانية محل النزعة القاسية،قلت قدرة الأخطاء والحماقة علي تسليتنا (1).

ومن ثمة فلا يمكن للمشاهد أوأي شخص أن يستمتع بالمواقف المضحكة وهو في حالة مشاركـة وجدانية ،أي حين تنتابه حالات انفعالية كالشفقة أو الخوف.

فيمكن القول أنه حتى يكون الضحك ممارسة فنية لابد من خلوه من النوايا السيئة،وبعيداعن الانفعالات النفسية قاصدا المتعة لذاتها.

فالضحك يظهر كقيمة جمالية حين لا يضمر الضاحك للمضحك الشر بل مجرد الاستمتاع وترويح عن النفس انطلاقا من النية الخالصة بحيث يتمنى الخير لكل إنسان, ومن دون إلحاق الضرر والألم بآخر وبعبارة أدق يكون من أجل الاستمتاع دون تحقيق غاية أخرى.

وقد جاء في إحدى الدراسات الفكرية حول الضحك أنه إستعمال عمومي للرغبة، أي ممارسة فنيـة تستحضر تفكيرا جماليا،يعبر من حيث هو كذلك على الممارسة الديمقراطية (2) .

وتتجسد هذه الرغبة في بحثها عن تحقيق المتعة من خلال مُشاهدة الأشكال الكاريكاتورية .

فنجد أن قارئ الجريدة اليومية كلما اشتري جريدة يذهب مباشر إلى الصفحة الأخيـرة ، صفحـة الكاريكاتير لا لشيء إلا ليضحك ويستمتع به.

01-جورج سنتيانا – كتاب إحساس بالجمال – مطابع الوطنية المصرية للكتاب 2001 ص/33

01-جريد ة الجزائر نيوز يتاريخ /2010/10/25.

المبحث الثاني: أنواع الضحك

إن إنتاج الضحك لا يمكن أن يكون إلا بتوفر ثلاثة عناصر وهي:

المثير أو المنبه الذي يثير الضحك مثل: الفكاهة ' النكتة ' الكوميديا الخ... ثانيا:الاستجابة الانفعالية بمشاعر البهجة أو الفرح. ثالثا: السلوك المصاحب لمثل هذه المشاعر أو الانفعالات مثل:الابتسام و الضحك(1)
فوجود هذه العناصر الثلاثة يؤدي مباشرة إلى إحداث أحدِ أنواع الضحك،الابتسام أو الضحك.

أ)-الابتسام:

لقد جاء في فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي أ ن التبسم أولى مراتب الضحك فالإنسان لما يتعرض إلى استثارة عقلية من الفكاهة' ففي أول الأمر يبتسم ثم يتطور إلى ضحك خافت ثم تحدث القهقهة ' وعند نفاذ الضحك يرجع في ضحكه رجوعا عكسيا ' أيإلي الضحك الخافت ثم التبسم.

إذا فالابتسام يظهر في أول الأمر ثم الضحك وفي نهاية المطاف الابتسام.

فقد تتصاعد الابتسامة وتتحول إلى ضحكة وقد تكتفي بوضعها, ويعود الوجه إلى وضعه السابق.

ولقد حدد العلماء والمفكرين عدة أنواع من ابتسامات من أهمها:

_ ابتسامة البهجة وتظهر في حالات التفاؤل.

_ الابتسامة المتكلفة و المصطنعة.

_الابتسامة البائسة وهي تقوم علي تلطيف من أثر الضار المتوقع.

_ابتسامة الخضوع أو الرضا عند طريق امائة للرأس.

_ ابتسامة التعاون و التآزر وهي خفيفة تشير إلي قبول التعاون.

_الابتسامة الدالة علي استجابة المستمع ونجدها في مجالس العلم و الدراسة.

_الابتسامة المرتبكة وهي ناجمة عن أخطاء يحاول الشخص إبعاد عن نفسه الضرر.

01- د/عبد حميد شاكر –الفكاهة والضحك رؤية جديدة- عالم المعرفة -مطبعة السياسة الكويت2003 ص:33

أما في المجتمعات العربية و الإسلامية فيقال قدوة بسنة الرسول(ص):" الابتسامة في وجه أخيك صدقة"وهذا دلالة على دور الابتسامة في حياة الفرد و المجتمع.

ب)-الضحك:

وهو تعبير فسيولوجي للإنسان الضاحك يصاحبه ارتفاعا في الصوت ويمكن أن يكون خافتا أو مدويا ويسمى القهقهة , فيتتم بارتفاع الشفة العليا من مكانها وظهور الأسنان المسماة بالضواحك أو النواجذ ؛ ونجد لضحك أشكال وأنواع مختلفة تعبيرا عن اغتباط الإنسان بنفسه وهي:

1)التهكم: ارتبط هذا المفهوم بالخطابة الساخرة و الأدب الساخر؛ وهو ضحك خافت ومعناه الترفع علي الناس والهزء بهم؛وهو عكس الأدوار أو قلب الأحداث مثلا:

حينما يتحول العبد إلى السيد و السيد إلي العبد في مشهد من المشاهد المسرح، وهناك أنمط أخرى للتهكم :

-التهكم باللامماثلة :وهو مرتبط بالتهكم السقراطي ؛ حيث يتظاهر بعدم المعرفة مع خصمه الجاهل لاستدراجه من أجل الكشف عن الحقيقة .

-التهكم اللفظي: ويتمثل في حدوث التناقض بين الكلمة و المعنى مثل:شخص ما رَّثِ الثياب يقال له: لك مهابة الملوك.

التهكم الموقفي: وهو لما يضحك الإنسان بصوت مرتفع من سوء حظ الذي أصاب الآخر.

2) المحاكاة التهكمية: وهي عملية تقليد للكلمات و السلوكيات شخص معين؛ ويوجد هذا النوع من الضحك مثلا: في فن الكاريكاتير؛ وفي المسرح والنحت والفنون تشكيلية.

السخرية:

وهي الهزء من الرذائل و الحماقات و النقائص الإنسانية ؛ فهي شكل من أشكال الفكاهة وهدفها تصحيح هذه النقائص والسلوكات الخاطئة ،وإعادة الفرد إلي حظيرة الجماعة؛ وتتجلى السخرية كثيرا

عند المتفكهين مثل: الكوميديين ورسوم المتحركة عن طريق نقد شخص .

النكتة:

وهي نوع من أنواع الفكاهة تقال على شكل معين ؛ بحيث تثير الضحك وتعتمد على المفارقـــة في موضوعاتها ؛ وهي تتصف بالايجاز في الكلمات مثل:شخصان التقيا في حمام فسأل أحدهما ألآخر : هل أخذت حماما فرد الآخر ماذا؟هل سرق واحد منهما؟.

و بالإضافة إلى هذه الأنواع من الضحك وجدنا عند المفكر العقاد أنماط أخرى للضحك وهي:" ضحك المرح و الطرب؛ ضحك الشماتة و العداوة؛ وهناك ضحك العطف و المودة ،وهناك ضحك الدهشـــة و المفاجأة ؛وضحك المقرور وضحك المسنوج و ضحك السذاجة وضحكة البلاهة ؛وما يختاره الضاحك وما ينبعث منه علي غير اضطرار....."(1)

لا تعتبر هذه التقسيمات حول أنواع الضحك تقسيمات نهائية ؛ لأنه لا يمكن الإقرار بعدم وجود أنماط أخرى للضحك ؛ نتيجة لكون هذه الظاهرة معقدة في حد ذاتها وهذا مايفسره تضارب أراء المفكرين و الفلاسفة حول تحديد مفهوم الضحك وأنواعه ومنابعه وهذا ماسنتناوله في المبحـث الثالـث الخاص ببواعث ودواعي الضحك .

-(01)- -عباس محمود العقاد -جحا الضاحك المضحك-ط- دار الكتاب العربي بيروت لبنان1969 ص/33

المبحث الثالث: بواعث الضحك

لقد تعدد اراءالمفكرين والفلاسفة حول منابع وبواعث الضحك بتعدد نظرياتهم الفلسفية فبعضهم رد الضحك إلى الشعور المفاجئ بالعظمة و التفوق؛ وبعضهم إلى الفرح والبهجة ونصف الثالث يرى أنه يتولد حين يدرك المرء بشكل فجائي التناقض الموجود في الحياة وسوف نتعرض إلى بعض أقوالهم عن هذه الظاهرة بتفصيل لاحقا، وعموما نجد أن أسباب الضحك وببواعثه تدور حول هذه المحاور:

01- الإحساس بالتفوق أو الشعور بالسيطرة:

فالشخص يضحك من الآخر لما يحس بأنه متفوق عليه ،حيث يكشف عليه عيوبا وسلوكيات ناقصة، فيشعر أنه بعيدا عنها و الإحساس بهذا السمو يدفع المشاهد إلى السخرية من التصرفات الهابطة التي قد ينحدر إليها ومن ثم إلى محاولة تجنبها.

02- التناقض في المعنى :

وهو بين الفكر و العمل، فالمشاهد لمَّا يدرك التناقض في الألفاظ و المواقف يضحك.والتناقض هو الذي يدفعنا إلى الضحك ، لأنه يظهر لنا الهوة القائمة بين فكرةٍ كانت سائِدة وواقعٌ يُقلب هذه الفكرة ويأتي بعكس مفهومها(1).

مثلا: قلب الأدوار بين العبد المتصف بالغباء و السذاجة و سيده ذو القـوة والقـدرة.ويمكن القول أن جل النظريات الفلسفية تفسر الضحك الهزلي على هذا الأساس أي المصدر الأساسي للضحك يعود إلي وجود التناقض و التضاد في المواقف الهزلية وهذا ما سيأتي بيانه في عند نتطـرق إلي بعض الفلاسفة الذين درسوا الضحك.

03-الشعور بالبهجة و الفرح:وهو الانفعال الوجداني مع الآخر ،وهو ضحك غيرمقصود وغير مرتبط بتحقيق هدف معين، وهذا النوع من الضحك هو الذي لم يهتم به برغسون به،كما سوف نرى لاحقا، مثل ضحِك المرء ممن يحبه ويحترمه ،والأم تضحك من وليدها رأفة و حُبا وحنانا.

01- د/ محمد حمدي ابراهيم – نظرية الدراماالاغريقية- طبع دار نوبا للطباعة القاهرة 1994 ص/133

الفصل الثاني:

الضحك في الخطاب الفلسفي

المبحث الاول: الضحك في الفكر اليوناني.

الضحك عند أفلاطون:

في الحياة اليونانية أنتشر فن الخطابة ، وأصبح هذا الفن أسلوبا للحياة ، فهو الاسلوب الحر لكل فردفي الحضارة اليونانية،وهوفن قائم على المغالطات وإدعاء المعرفة،فجاء سقرط ووقف ضد هذه الحركة موقفا ساخر منها، فإتخد التهكم و السخرية مِنهاجا لحواراته الفلسفية ودحض إدعاءتهـــم. والتهكم عنده هو إدعاء الجهل والتظاهر بقبول رأي الطرف الاخر ، ثم جذبه الى الحديث

ثم في الاخير اعتراف الخصم بعجزه امام سقراط ،مما يجعله عرضة لسخرية الغير الضارة .

فكان التهكم عند سقرط في حياته و فلسفته للوصل الى الحقيقة ،وتجلي هذا الاسلوب جتى في أخر حياته أثناء محاكمته والدفاع عن نفسه،فكان يسخر من القضاة ، ويبدي تحديا واستخفافا بالموت.

ومما ساقه سقراط في محاوراته أمام المحكمة، وهو يستحسن الضحك المؤدب مايلي:

" وإن جاز أن أسوق إليكم هذا التشبيه المضحك، لقلت أني ضرب من الذباب الخبيثأ أنزله الله على الأمة ، التي هي بمثابة جوا لِنبيل عظيم ، ثقيل الحركة لضخامته، ولابد له في حياته من حافز أنا تلك الذبابة الخبيثة التي أرسلها إلى الامة فلا شاغل لي متى كنت، إلا أن أثير نفوسكم بالإقناع و التأنيب ، ولما كان من العسير أن تجدوا لي قريبا، فنصحتي لكم أن تدخروا حياتي"(1)

فهو اول من أتخذ التهكم أسلوبا وطريقا للوصول الى الحقيقة ،وهو الاسلوب الذي تأثر به تلميذه أفلاطون من بعده فجعله منهاجا لتفسير فلسفته المثالية.

لهذا يقال أن أفلاطون هو من الأوائل الذين اهتموا بدراسةالضحك مُدونا إياه في محاوراته الفلسفية إلا أن اهتمامه، لم يكن منصبا حول الناحية الفنية و الجمالية للضحك، بل إلى جانبه السلبي ومـــا يخلفه من سلوكيات غير مرغوب فيها عند الفرد و تأثيراته على تماسك المجتمع وانضباطه.

فقد اعتبره عدوا لدودا ضد جمهوريته المثالية فكل ضحكة من الضحكات أفراد الجمهورية تساهـــم في تقويض النسيج الأخلاقي للمجتمع.

01–د/ مصطفى غالب في سبيل الموسوعة الفلسفية –سقرط– دار الهلال بيروت سنة 1991 ص/121

فالضحك لم يتناوله باعتباره ظاهرة فلسفية واجتماعية يجب دراستها و الوقوف عند كنهها، ماعدا بعض الإشارات المتفرقة في كتبه ;ومن أهمها ما تجلي في محاورة فيليبوس الحوار الذي جري بين سقراط وبروتاقوراس، حيث أرجع الضحك إلى الجهل النفس بذاتها و الحقدعلى الآخرين وفي هذه المحاورة فسر أفلاطون ا لضحك على لسان سقراط:

سقراط: يابروتجوراس، إذا كنا سنرى في النوع الطفولي من أنواع الحسد مزيجا مفردا للذة و الألم ماهي خطوتنا التالية إذا؟ إن كل الأغبياء الذين يستضيفون هذا الخداع الكاذب، يمكن أن يقسموا بالطبع إلي صنفين اثنين، مثل بقية الجنس البشري أحدهما يملك القوة و القدرة والآخر لد يه عكس ذلك.

بروتاجوراس : بدون ريب.

سقراط: دع هذا إذن يكون قاعدة القسمة. يمكن إن نسمي منهم أولائك الضعفاء الغيرالقادرين . على أن يثأروا لأنفسهم ، عندما يسخروا الآخرون منهم، يمكن أن نسمي هذا الصنف الصنف المضحك. غير أن الذين يمتلكون القوة ويستطعون الدفاع عن أنفسهم، يمكن وصفهم بواقعية أكثر إذا قلنا أنهم مرعبون ومكروهون، لأن الجهل في الجبار مكروه و مرعب، لأنه يضر الآخرين في الحقيقة و الخيال كليهما. لكن يمكن تخمين أو تقدير الجهل الواهن، ويكون هذا الجهل مضحكا في الحقيقة.

بروتاجوراس: إن هذا حقيقي جدا،لكنني لست أرى أين يكون مزيج الملذات و الآلام إلى حد الآن.

سقراط : حسنا، دعنا نختبر طبيعة الحسد إذن.

بروتاجوراس: واصل.

سقراط : أليس الحسد لذة جائرة، وهو ألم غير عادل أيضا؟

بروتاجوراس: الأكثر الحقيقة.

سقراط : لا يوجد شيء يتسم بالحسد أو الخطأ في الفرح عند حلول المصائب بالأعداء؟

بروتاجوراس : لا بالتأكيد.

سقراط: وشعورك بالفرح بدلا من شعورك بالآسي عند حلول المصائب عند أصدقائنا أليس ذلك الشعور شعورا خاطئا؟

بروتاجوراس: بدون شك.

سقراط: ألم نقل أن الجهل كان شرا على الدوام؟

بروتاجوراس: حقا.

سقراط: وأما عن أنواع التصورات الباطلة في أصدقائنا ، والتي عددنها تصورات،فتصورالجمال الخاطئ، وتصور الحكمة ،و تصور الغنى ، فإنها تكون مضحكة إذا كانت ضعيفة،وبغيضة عندما تكون قوية. ألا يمكننا أن قول، كما قلت من قبل إن أصدقائنا الذين يكونون في حالة العقل هذه هم مضحكون بكل باسطة، عندما ليؤذون الغير؟

بروتاجوراس : إنهم لمضحكون.

سقراط : أو لم نعترف بحالة العقل هذه بأنها بلية ، مثل الجهل كلها؟

بروتاجوراس : بدون ريب.

سقراط: وهل نشعر بالألم أو اللذة عند سخريتنا منها؟

بروتاجوراس : إننا نشعر بالألم بوضوح.

سقراط: واتفقنا أن مصدر هذه اللذة التي نشعر بها عند وقوع البلايا بأصدقائنا هو الحسد؟

بروتاجوراس: بالتأكيد.

سقراط: تبين المحاورة إذن أننا عندما نضحك علي غباوة أصدقائنا فإن اللذة حين اختلاطها بالحسد تختلط بالألم، لأننا كنا قد اعترفنا بأن الحسد هو ألم عقلي و السخرية سارة، ونحن نحسد في مناسبات كهذه ونضحك في اللحظة عينها.

بروتاجوراس: حقا.

سقراط: وتدل المناظرة ضمنا على أن هناك وحدات متآلفة للذة والألم في النواح، وفي المأساة والملهاة، ليس علي المسرح فقط، بل على مسرح الحياة الإنسانية ألأكبروهكذا في

الحالات الأخرى التي ليس لها حصر.

بروتاجوراس : إنني لا أرى كيف يستطيع أي شخص أن ينكر ما تقوله ، يا سقراط يمكنـــــه أن يكون تواقا علي كل حال لتأكيد الرأي المعاكس لرأيك.(1)

إذًا من خلال هذا الحوار جعل أفلاطون سبب الضحك هو الحسد و الجهل بالنفس، فالحسد عندما يكون المرء جميلا حقاً أو قوياًحقاً أو حكيما حقاً فإنه يكون موضوع للكراهية، ولما يكـــون الإنسان ضعيفا وغير قادر على إيذاء الآخرين ولكن يتصور نفسه غير ذلك فيخدع نفسه مما يجعله في موقف الحظ العاثر، و بالتالي يكون مَوضع السخرية و الضحك.

فالإنسان الضاحك يدرك أن جهل الآخر بنفسه و بالنقائص والعيوب هي التي تثير الضحك فينـــا، ونعلم أن هذه النقائص ليست موجودة لدينا و هي بعيدة عن أشخاصنا.

ويرى أفلاطون أن هذه الظاهرة كثيرا ما تلتصق بالألم، فالضحك الذي يُولِد المتعة لدى المـــرء يختلط في نفس الوقت بالانفعالات أخرى مثل التحسر و الألم، ويؤكد أنه أقرب من يضحك منـــك أصدقائك، لكنهم يضحكون من سوء حظك الذي أوقعتك فيه أوهامك وضحكهم يتضمن مع ذلك نوعا من الشماتة و الحقد، و من ثم نوعا من الألم الذي منشأه الذنب، وقد يكون ضحكهم متعلقا بك أو بغيرك من تعساء الحظ في الحياة. (2)

فأفلاطون يعتبر من المفكرين الأوائل الذين تحدثوا وقالوا باختلاط المشاعر والانفعـــالات حول الضحك فنحن نضحك من الحظ السيئ للآخر و في نفس الوقت ينتابنا شعورا بالذنب، و كثيرا ما نتعرض إلى مواقف ُمضحكة، ثم يحاول الشخص الضاحك أن يتراجع عن ضحكه لما يحس بتأنيب الضمير له على هذه السخرية من الآخر، لأن في هذه اللحظةالشخص الذي يضحك لا يعتبر نفسه أقل سوء أو أدنى مرتبة مما يسخر منه ، فيمكن أن يسقط هو بنفسه من علياءه ويتحول من إنسان ضاحك إلى إنسان ُمضحك.

01– د/شوقي داود تمراز محاورات الكاملة لأفلاطون مطبعة الأهلية لنشر و التوزيع سنة1994 بيروت ص/346–347

02–د/ عبد الحميد شاكر – الفكاهة و الضحك رؤية جديدة سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/71

ولما كان الضحك هدفه تحقيق المتعة أو اللذة، فقد أقر أفلاطون بأنه لا توجد متعة خالصة بل متعة ممزوجة بالألم، فالضحك عنده أساسه الحقد و الشماتة من الآخر.

ويذهب إلى أن الاستمتاع بنقائص الآخرين و السخرية منهم سلوكا غير سوي، و غير لائـــق لأن الضحك هنا تعبيرا عن الخبث كما وسبق أن ذكرنا.

ويرى أن القوي يضحك و الضعيف يضحك، القوي يضحك ويسخر من الحظ العاثرلآخروالضعيف يتهكم ويتمنى تعثر القوي حتى يكون عرضة للضحك و السخرية.

فالضحك عند أفلاطون أساسه الحقد و الحسد المتبادل بين القوي و الضعيف ن فهو ينبع من قاعدة أخلاقية شريرة التي تضر بالفرد أكثر مما تنفعه في حياته، حيث يصل تأثيره على البنيان الـــذي يقوم عليه مجتمع الفضيلة.

لكن لا يمكن أن تكون نظرة أفلاطون حول الضحك نظرة لا يشوبها نقصان، بل يمكن للشخص أن يضحك من بهجة وسرور مثل: تلقيه خبرا مفرحا، مثل لقائه بأحد أصدقائـــــه الذي غاب منذ مدة وفجأة التقى به، فهذا النوع من الضحك نجده خالصا لا يختلط بألم ولا يسبب مضارا لآخرين.

وقد تحدث أفلاطون عن الكوميديا ورأى أن الضحك و الاستمتاع بها يقترن بنوع من الخبث وسوء الطوية ، فإذا كانت الملهاة التي هي نوع من الفـــن تستند إلى السخريـــــة التي تثير الضحـــك و الإضحاك و اللهو، والفـــن على وجه العموم من شأنه أن يوحي بالعطف على أفعال و انفعـــالات رديئة ، ويضعف إشرافنا على الجزء الشهوي من النفس ، فيحرك فينا البكاء تارة و الضحك تارة أخرى، ويدفع بنا إلى استحسان ما نكره في الحياة الحقيقية،وإلى التصفيق و التهليل لما نغضب له في الواقع(1)

إن فن الكوميديا على وجه الخصوص فن رديء بالذات لا بالعرض ، لأنه يجعلنا نضحك ونسخر من إخواننا في الإنسانية، كما أنه فن قائم على نوع من الضحك يقترن باللذةالعابرة و الخفـــة و المجون ، وهي أمور تنأى بطبيعتها عن الرزانة و الحكمـــة و الفضيلة وتعبر عن تلك الصفـــــة المنحطة في الإنسان التي لا تليق بالإنسان الحر النبيل و الشريف(2)

01–د/ عبدالحميد خطاب الضحك بين الدلالة السيكولوجية و الاستيطيقية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرسنة 2006 ص/31
02–د /يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية طبعة جديدة دار القلم بيروت لبنان ص/102

وعموما إن أفلاطون لا يحبذ الضحك المفرط الذي يسبب هزات نفسية لدى مواطن المدينة، الذي يسلب الإنسان إنسانيته ، فيضع كامل قواه في الاستهتار و الهزل ، ويصبح غير قادر على حماية جمهوريته، لأنه يعتبر الضحك المفرط عدوا لدودا يقوض أركان جمهوريته الفاضلة شيئا فشيء حتى يدب فيها الفساد، فاهتمام أفلاطون بتربية الفرد وتعليمه أدى به إلى ذم الضحك واتخاذ الجد و الصرامة في بناء الفرد.

ففي محاورة الجمهورية في الكتاب العاشر قدم أفلاطـــون نقدا لاذعا للشعر و الشعراء، وبصفـــة خاصة، الشاعر هوميروس، حيث رأى أن شعره هو موضع الضحك، وكل من يحاول تحريك قوة الإضحاك على المسرح يكون مهرجا وموضع للضحك، فيقر بوجود مبدأ في الطبيعـــة الإنسانيـــة يكون باعثا على الضحك و الإنسان الحر النبيل هو الذي يكبح جماح هذه الظاهرة على الرغم ما قديستطرب ويستمتع به من عيوب الممثليين،وهذاما أكده أفلاطون في هذه المحاورة في الجمهورية التي جرت بين سقراط وكلوكن:

كلوكون: كم أنت محقا بالتمام.

سقراط: أولا يعتبر الشيء نفسه مضحكا؟ يوجد مزاح ستخجل أنت نفسك أن تصنعه ،ومع ذلك ستطرب به كثيرا جدا عندما تسمعه على المسرح الهزلي أو الخفاء ولن تكون مشمئزا من عيوبه أبدا. لقد تكررت حالة الرحمة. يوجد مبدأ في الطبيعة الإنسانية يكون مطبوعاعلى بعث الضحك،وهذا كنت قد كبحته بالعقل لأنك كنت خائفا في أن يظنوك مهرجا. لقد ترك وشأنه الآن مرة ثانيةوكونك قد حركت قوة الإضحاك على المسرح،فإنك قد غدرت بنفسك لا شعوريا في تمثيل شاعرالهزل ببيتك.

كلوكون : حقيقي تماما.(1)

أما في كتابه القوانين الذي يعتبر آخر مؤلفاته، وهو كتاب الذي تحدث عن التربيـــة والسياســـة والقانون بإسهاب،وهو ثمرة تجاربه وحوصلة أفكاره وفلسفته، حيث ألفه وهو في السبعيـــن من عمره، سمح باليسير من الهزل.

01 – د/شوقي داود تمرازمحاورات الكاملة لأفلاطون (محاورو جمهورية أفلاطون الكتاب العاشر) مطبعة الأهلية لنشر و التوزيع سنة1994 بيروت ص/463.

فجعله مقتصرا على الفئات الدنيا في جمهوريته أي حصر مهنة التمثيل الهزلي فقط على العبيد و الأجانب مع عرض كل القصص المسرح الهزلي على المراقبة،لأنه يؤكد أن الرق لا مفر منه فهو ضرورة مفروضة من سوء المعاملة الأخلاقية.ويؤكد أنه لا يمكن تصور ولانجد شخصا ما حـــرا رجلا كان أو امرأة يتلقي دروسا في هذه العروض أي العروض الهزلية .

فانطلاقا من فلسفته حول الضحك نجد أن افلاطـــون من المفكرين الاوائل الذين قالوا بأن الضحـــك مبعثه التفوق والسيطرة فشعورنا الداخلي بأننا أحسن حال من الآخرين هو الباعـــث الحقيقـــي للضحك ،وباعتبار الضحك انفعالا من الانفعالات النفسية ، فهو يختلط باللذة و الألم أي اللـــذة في الاستمتاع و الألم المقرون بالرحمة مما لحق الآخرين من عيوب ونقائص .

وبهذا يمكن أن نقول أن أفلاطـــون، هو الأب الروحي لنظريتي التفوق و السيطـــرة و اختـــلاط الانفعالات في الضحك.

أرسطو و الضحك:

هل أرسطو ذم الضحك والهزل كما ذمه أفلاطون في نظريته؟

وما هي فلسفته في الضحك؟

لقد نقل أرسطو الضحك من دراما الحياة إلى حياة الدراما، أي من الظواهر الهزلية المتعلقة بحياة البشر إلى المواقف الهزلية على خشبة المسرح، أعني محاكاة لسلوكيات البشريةالتي تثير الضحك وقبل أن نخوض في فن الملهاة عند أرسطو، نحاول تسليط الضوء حول مفهوم الضحك عنده،فهو يرى أنه تعبير إنساني لا يخرج عن حالات الاعتدال، حيث أولاه اعتبارا أخلاقيا أخضعه لمعيار الوسطية المعروف في فلسفة ألأخلاق، و هي الفلسفة التى تنص على أن الفضيلة هي الاعتدال و التوسط بين أمرين كلاهما رذيلة ، أي بين الإفراط و التفريط، وعلى هذا المبدأ يكون خلق الكرم فضيلة محمودة، إذا كان معتدلا أي وسطا بين الإفراط المتمثل في التبذير و التفريط المتمثل في البخل ، وأيضا الشجاعة هي الفضيلة لأنها اعتدال وسط بين الإفراط و المتمثل في التهور و التفريط المتمثل في الجبن وهو الأمر الذي يمكن تطبيقه على ملكة الضحك و اللهو والانبساط الذي يكون فيه المجون إفراطا و الفظاظة تكون تفريطا(1)

يعترف أرسطو بأهمية الضحك الذي لا يخرج عن حالات الاعتدال،ولا يُلحق الضررو الألم بالآخر فالمضحك عنده هوفي وسط المنزلتين بين الإفراط والتفريط وقد أكد:{ أن المضحك ليس إلا قسما من القبيح،و الأمر المضحك هو منقصة ما وقبح ما لا ألم فيه ولا لإيذاء}.(2)

لقد ارتبطت ظاهرة الضحك عند أرسطو بفلسفته للأخلاق، حيث أشار إليه في كتابه (ألأخلاق النيقوماخية) و تناول أرسطو لظاهرة الضحك جاء في الجزء الثاني من كتابه فن الشعر .

01 –د/يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية –مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة1936 ص/193

02–د/ عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/**78**

فبينما كان الضحك عند أفلاطون استجابة انفعالية ارتبطت بالحقد و سوء الطوية ، والغيرة فإن أرسطو حرره على أن لا يكون مرتبطا بالبشر في الحياة الواقعية، ولما كان الضحك عند أفلاطون له علاقة بالواقع اليومي، أصبح عند أرسطو متعلقا أكثر بعالم الدراما.

لقد تقدم أرسطو بالضحك خطوة أبعد إلى الأمام ، فلم يعد عنده الضحك مرتبط بالانفعالات السلبية التي تمزج بين اللذة و الألم ، بل أصبح عند الضحك مصدره انفعالا ايجابيا يسعى إليه الإنسان خلال بحثه الدائم عن السعادة ، وارتبط أيضا لديه بالأخلاق والترويح الاسترخاء.

وبهذا نجد أن أرسطو قد نجح إلى حد ما في تحويل الضحك من الحياة الواقعية للبشر وما تخلفه هذه الظاهرة من ألام و أضرار بالنسبة لأصدقائنا و جيراننا و تأثيرها على المعاملات اليومية بينالإنسان و الآخر، حيث أعتبر الضحك و السخرية من الآخرين مسًا وطعنًا في شخصية الغير وخُلقًا سيئا لا يبعث على تماسك ووحدة الروابط الاجتماعية.

فأرسطو أعتبر الضحك ظاهرة جمالية تبعث على تحقيق الاستمتاع و الراحة النفسية للبشر من خلالالتمثيل الدرامي الصادق، أي إعادة أفعال وسلوكيات المرء الرديئة و تجسيدها على خشبة المسرححيث تنشأ الكوميديا انطلاقا من المحاكاة لمختلف عيوب وحماقات البشر ، ومن ثمة يتولد الضحك وبالتالي نكون قد قمنا بتطهير أنفسنا من الحاجة إلى أن نسخر و نستهزئ بالناس الذين نعيش معهم في مجتمع واحد.

الضحك في الكوميديي:

لما كان الضحك عند أرسطو انفعالا من الانفعالات المختلفة، وطريقا من الطرائق السعادة النفسية و تحقيق المتعة النفسية ، وحتى لا يخرج هذا الانفعال من دائرة اللامعقول ويبقى دائما ناعما خالي من المنغصات، وحتى لا يضحك الإنسان من المعوقين جسدا أو عقليا و من الحمقى،وحتى يتمكن الإنسان أن يتخلص من السخرية من الآخرين وما يلحق بهم من أذى وألم في الحياة الاجتماعية.أوجد أرسطو حلاً مناسبا ألا وهو المسرح أو الدراما حيث يمكن للإنسان من التنفيس عن ما يختلج في نفسه من رغبات و الانفعالات البغيضة لديها كالحسد.و الحقد..

فقد أوجد أرسطو أسلوبا تمثل في فن الكوميديا لتنفيس عن انفعالاتهم النفسية، فما هو الفن الكوميديا أو الملهاة؟

فن الكوميديا: عند أرسطو هي محاكاة لأشخاص أرد ياء، أي أقل منزلة من المستوى العام، بواسطة فعل تام في ذاته له طول معين وفي لغة ممتعة لأنها مشفوعة بكل نوع من أنواع التزيين الفني، وتتم هذه ألمحاكاة في شكل درامي لا في شكل سردي وبأشياء تثير الضحك.(1)

وقد عرف أرسطو الكوميديا أنها محاكاة الرجال الأسوأ من المتوسط و القناع الذي يثير الضحك هو شيء قبيح وقد تم تشويهه بحيث لا يحدث ألم.(2)

وفي هذا السياق يقول أرسطو:" الملهاة هي محاكاة الأراذل من الناس لا في كل نقيصة، ولكن في الجانب الهزلي الذي هو قسم من القبيح ، إذ الهزلي نقيصة وقبح بغير إيلام ولا ضرر ،فالقناع الهزلي قبيح مشوه ولكن بغير إيلام"(3)

فالضحك ركيزة أساسية في الكوميديا، فلا يمكن تصورها بدون الضحك، ولكن لا يعتبرالغاية القصوى للكوميديا ، بل وسيلة تهدف من خلالها إلى تحقيق أهدافها .

01- د/ عصام الدين حسن أبو العلا –نظرية ارسوطاليس عن الكوميديا –مكتبة مدبولي 1993 ص/59

02- –د/ عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/78

03–أرسطو –فن الشعر ترجمة وشرح وتحقيق –د/ عبد الرحمان بدوي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ص/16

فهي تنجزأي الكوميديا أهدافها عن طريــق المتعة والضحك ،والهدف الأساسي يكمن في تطهيــر الانفعالات الضارة من نفسية المشاهد: كالغضب..

ويرى أرسطو أن انفعال الضحك مضاد لانفعال الغضب ،فهو يصنف الضحك ضمن الانفعــالات المختلفة المتعلقة بشخصية الفرد الواحــد ، والتي تنتابه في حياتــه اليومية كالغضب، الحزن البهجة.....

وحاول أرسطو تفسير ظاهرة الضحك انطلاقا من مقارنته و مقابلته بانفعال الغضب وهويقول عن الانفعالات:" الانفعالات هي كل التغييرات التي تجعل الناس يغيرون رأيهم فيما يتعلق بأحكامهــم وتكون مصحوبة باللذة أو الألم مثل: الغضب، والرحمة، الخــوف، وكل الانفعــالات المشابهــة وأضداد".(1)

فمن خلال هذه الفقرة نكتشف نوعين من الانفعالات التي تؤدي إلى اللذة و الأخرى تؤدي إلى الألم فالانفعالات اللذيذة تهيئ النفس لتكون في حالة استقرار ، بينما الانفعالات المؤلمة تؤدي بالنفس إلى حال عدم الاستقرار .

ولما كان إ انفعال الغضب انفعال مؤلم فهو يؤدي إلي عدم الاستقرار، لذلك فهو يؤثر في أحكام العقل ويقول أرسطو:" لما كان (أن يغضب) ضد (أن يسكن) و الغضب ضد السكون، فعلينا أن نبين الحالة النفسية التي تجعل الناس ساكنين، وتجاه من يصيرون ساكنين، و الأسباب التي تجعلهم ساكنين"(2) وهنا يبحث أرسطو عن كيفية التخلص من انفعال الغضب الضار بالإنسان ،وذلك بتحديده لمعنى سكون النفس بقوله: " لنحدد التسكين بأنه تهدئة الغضب وكسر سورته".(3)

ثم يقوم بالبحث محاول إيجاد انفعالا مناسبا من شأنه أ ن يزيل هذا الانفعــال المؤلم و المضــاد للاستقرار،وذلك بغرض إعادة النفس إلى حال السَكن حتى ينضبط ميزان العقل عند إصدارالأحكام.

01د/ عصام الدين حسن أبو العلا –نظرية أرسو طاليس عن الكوميديا –مكتبة مدبولي سنة 1993 ص/30
02-د/ عصام الدين حسن أبو العلا نفس المرجع ص/52
03-د/ عصام الدين حسن أبو العلا نفس المرجع ص/52

فيهتدي أرسطو أن انفعال الغضب لا يزول إلا إذا قابله انفعالا آخر مثل:انفعال الضحك أو اللهو أو الاحتفال و الشعوربالنعمة و النجاح، فالواضح مما سبق ذكره أن من بين الانفعالات التي تزيل الغضب الضحك.

فأرسطو يُقر بوجود عنصر الضحك كانفعال يعمل على بعث السكون في النفس الغاضبة و تحقيق اللذة واستقرار النفس،لأن انفعال الغضب يضاد انفعال الضحك الذي يحدث سكونا للنفس، و بالتالي يمكن القول أن انفعال الضحك هو المطهر من انفعال الغضب الذي يضر بالإنسان و يؤدي إلي تحقيق اللذة و المتعة.

ومما سبق ذكره يمكن أن نستخلص من نظرية أرسطو حول الضحك أنه يعتبر انفعال ضروري وذلك حتى تتخلص النفس من غضبها و الأضرار التي تنجم على إثر ذلك، فهو يؤكد على أهمية إثارة الضحك في نفس المتفرج.

فقد تأكد أن أرسطو هو أول من يرجع إليه الفضل في وضع الأسس الأولي لفن الكوميديامن خلال كتابه فن الشعر،وهو خلافا لأفلاطون لم ينبذ الضحك بل اهتم به وجعله وسيلة لتطهيرالنفس البشرية. من خلال الكوميديا.

بواعث الضحك عند أرسطو:

لقد وجدنا عنده أن الضحك ينبعث إما من الكلمات أو الأحداث، أو من الأسلوب و المواقف.

01-الضحك من الأسلوب أو الكلمات: وينتج هذا النوع من الضحك من خلال طرائق السبع:(1).

- **-من التشابه:**

أي بواسطة الألفاظ المتشابهة في نطقها، ولكنها مع ذلك تعبر عن معان مختلفة تبعث على الضحك مثال ذلك في لغتنا العربية عين الماء ، وعين إنسان . الثري وهو الرماد، و الثري وهو الغنى الحب و هو العاطفة و الحب أي الحبوب.

- **من الترادف:**

أي بواسطة لفظين مختلفين لهما مدلول واحد ، أو يعبران عن معنى واحد مثال ذلك :النوروالضياء الدجى و الظلام، الركض و الجري، الوثب و القفز،القلب و الفؤاد ، البهجة والسرورأو مثال أخر: (أنا هنا أنا وصلت).

- **من الثرثرة الحمقاء:**

أي بواسطة التكرار الممل لعدد من الكلمات أو الجمل المتراصة و المتتابعة، ومثال ذلك ما يمكن أن نراه و بكثرة في مسرحنا الكوميدي، حيث تلجأ شخصية ما في المسرحية إلى الإضحـــاك عن طريق الثرثرة الحمقاء.

- **من التلاعب بالألفاظ:**

سواء عن طريق الزيادة أو النقصان في استعمال الألفاظ.

- **من التصغير :**

أي بواسطة استخدام صيغة التصغير من اللفظ ،مثال استخدام أريستوفانيس في مسرحية "السحب" لاسم الفيلسوف سقراط في صيغة التصغير (سقيرطي أو سقراطي الصغير) ، وجعله الأب ستريسياديس ينادي به الفيلسوف مرارا في سذاجة تثير الضحك.

01--د/ محمد حمدي إبراهيم - نظرية الدراما الإغريقية -مطبعة دار نوبار للطباعة القاهرة ط:01 سنة 1993ص/126

- **من قلب الألفاظ:**

سواء بالصوت أو بالإيماءة أي التعبير عن معنى اللفظ بالحركة و الإشارة.

- **من شكل الكلمة:**

أي باستخدام أساليب لغوية مضحكة، سواء من النحو أو تركيب الكلام مثال: طريقة الإلقاء المبالغ فيها أو الغريبة تؤدي إلي الضحك. (1).

02- الضحك من المواقف أو الأحداث:

- **من التماثل: سواء مماثلة الأحسن بالأسوأ، أو الأسوأ بالأحسن أي العكس، مثال ذلك ماثلة كليون الزعيم الديماجوجي بالخنفساء أو مماثلة بالمدق في مسرحية *السلام* لأرستوفانيس كذلك مماثلة العبد بالسيد في معظم مسرحيات الكوميديا الحديثة .**
- **-من خلال الخداع آو التمويه:**

كأن يعتقد أحد الأشخاص مثلا أن قصة ما خاصة بميلاد شخص معين أو هروبه أو موته قصة حقيقية ، وتبنى ألأحداث على أساس هذا التمويه.(2)

- **من المحال :**

مثال ذلك التشبيه الذي ورد في مسرحية * السلام* علي لسان تريجابوس (لا لن نمنحك شيئا قبل أن يتزوج الذئب شاة).

- **من الممكن وغير المتناسق: مثال ذلك قيام ديونيسوس في مسرحية * الضفادع* بوزن الشعر بالميزان.**
- **من غير المتوقع:حدوث شيء لم يكن في الحسبان .**
- **من استخدام الرقص الصاخب.**

01- د/ محمد حمدي إبراهيم - نظرية الدراما الإغريقية -مطبعة دار نوبار للطباعة القاهرة ط:01 سنة 1993 ص128

02-/ عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/78

03-- د/ محمد حمدي إبراهيم - نظرية الدراما الإغريقية -مطبعة دار نوبار للطباعة القاهرة ط:01 سنة 1993 ص130

- **من عدم ترابط الألفاظ ،انعدام تناسقها : مثال قول ستريسياديس في مسرحية *السحب* لسقراط:(إذا اشتريت امرأة تمارس السحر من إقليم تساليا، وأنزلت القمر ليلا من السماء وحبسته في علبة مستديرة كالمرآة واحتفظت بها على الدوام فسوف أتخلص من دفع فائدة الديون التي تثقل كاهلي.(3)**

وخلاصة القول حول الضحك لدى أرسطو أنه اهتدى حقا إلى المبدأ الجمالي في الضحك، حيث جعله عاملا من العوامل التي توحي بالجمال و الاستمتاع في النفس الإنسانية فارتقى أرسطو بهذه الظاهرة من الضحك وجعلها فنا جميلا ضمن الفنون الجميلة، فالهزل عنده يجب أن لا يخرج عن دائرة اللباقة و الاعتدال و إ لا أصبح تهريجا، فالضحك لديه ليس غاية في حد ذاته ، بل هو وسيلة ومطية لتطهير النفس الإنسانية من الانفعالات السلبية التي تنتاب الإنسان في حياته الاجتماعية ،والضحك سواء كان ناتجا عن اللفظ أم منبعثا من موقف له هدف أسمى يصبو إلي تحقيقه وهو نشر ثقافة تعمل على تمكين لحياة إنسانية أفضل، فكان هدف الكوميديا عنده هو كشف ما هو موجود في الواقع من عيوب مختلفة و القصد منها تغييرها إلي واقع أفضل، فهي وسيلة من الوسائل النقدية للأوضاع والحالات السيئة السائدة في المجتمع تقوم بإثارة الضحك لدى المشاهد بحيث يشعر بالمتعة و الارتياح نتيجة إحساسه بالتفوق الذي يدفعه إلى تغيير السلوكيات السيئة.

المبحث الثاني: الضحك في الفكر الغربي.

الضحك عند كانط:

عاش كانط بين هذه الفترة(1724-1804)، وتبدأ فلسفته بنقد العقل الخالص ، وهو أب الفلسفـــة النقدية ، وأشهر كتبه التي تناولت فلسفة الجمال ، كتاب نقد الحكم ، حيث عمل للكشف عن المبادئ الذاتية في إدراكنا للجمال.

و الفكرتان الرئسيتان التان يبحث فيها النقد الثالث (كتاب نقدملكةالحكم) ، هما فكرة القصد و القصدية أي الإنسجام الذي ندركه دون التعرف على أي قصد خاص.(1)

و تناول كانط ظاهرة الضحك بالدراسة مثله مثل بقية بعض الفلاسفة في كاتبه المشهور ** نقد ملكة الحكم وهو كتاب تطرق فيه إلى فلسفة الفن والجمال بصفة عامة ، بالإضافة إلى ظاهر ة الضحك حيث صنف الضحك ضمن الفن الممتع الذي يحقق متعة آنية سرعن ما تزول و لا تتـرك آثارفكرية تساهم في ثقافة الفرد، وحاول تحديد مفهوم الضحك ومثيراته انطلاقا من تعريفه للفـن وتصنيفاته.**

لقد عرف كانط أن الفن الجميل هو الفن الذي لا يصبو إلى غاية و تحقيق منفعة ، بل الفن هو مهارة إنسانية يختلف عن العلم. فإذا كان العلم هو القدرة على الفعل عن معرفة كيفية القيـام به، فالفـن هو قدرتنا على معرفة الشيء، لكن نفتقد إلى المهارة الكافية لصنعه في الحال.

ويرى كانط أنه إذا حاولنا اعتبار الجمال علمًا فإننا مطالبون بإثبات البراهين والحجج على هذا العلـــم، وأننا لا نحصل على شئ من هذا: (إذا طلبنا علم الجمال بوصفه علما لم نحصل إلا على كلمات مليئة بالذوق فكاهات).(2)

وإذا كان الفن غايته المباشرة استشعار اللذة فإنه يسمى فنا جماليا ، والفن الجميل ينقسم إلى الفن الممتع أو الجميل. يكون فنا ممتعا حينما يكون الهدف منه أن ترافق اللذة التمثلات كمجرد إحساسات عابرة. ويكون جميلا حينما ترافقها كنوع من أنواع المعرفة.(3)

01- د/زكي نجيب محمود –الموسوعة الفلسفية المختصرة – دار القلم بيروت –ص338
02-إيمانويل كانط –نقد ملكة الحكم – ترجمة غانم هنا –توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت –طبعة 2005 ص/229
03-نفس المرجع ص/229

فالفنون الممتعة هي التي تكون غايتها مجرد الاستمتاع مثل: جماعة تجلس على مائدة الطعام تدور بينهم قصص و نوادر مختلفة تشيع بينهم المزاح و الفكاهات، وتبادل القيل و القال أثناء المأدبة ، وتعتبر كلها هذه أحاديث اللحظة ، لا أن تكون مادة لتفكير، بل إحساسات عابرة غير منطبعة ،ما تنفك أن تزول و تتلاشى هذه الإحساسات وتزول ، لهذا فن المتعة مرتبط بالإحساس و فن الجميل مقياسه ملكة الحكم وهو باعتباره غاية في ذاته إلا أنه يساهم في تثقيف ملكات النفس من أجل التواصل الاجتماعي.

وفن المتعة هو فن له علاقة بالإحساسات التي تترك انطباعات عابرة و لا تساهم في ثقافة الفرد فعند كانط الفكاهة أو الضحك أعتبره من فنون المتعة ،وأبعده عن فنون الجميلة ، وقام بتشبيه الفكاهة بالموسقي فقال: (إن الموسقى و الفكاهة هما صنفان من اللعب يحتويان على أفكار جميلة أو تمثلات فكرية لكنهما في النهاية الأمر لا يحملان على التفكير ، وإنما يمكن أن يسببا متعة نظرا لسرعة تناوبهما لا غير، وبهذا فإنهما يشيران بوضوح كاف إلى أن التنشيط يتم بهما جسمانيا فقط).(1)

فكانط يؤكد أن متعة الضحك تقع على الجسم إبتداءا من النفس ، المشاعر و الأفكار المختلفة ، كالعافية في نفس الفرد هي التي تسبب راحة ومتعة جسمية.

فالضحك عنده هو عندما يحمل الفرد أفكارا، ولكن هذه الفكرة لا تحقق في الواقع لأنه كان يتوقع وجوده وفجأة يصل إلى اللاشيء ، أي إلى العدم ،فكل التوقعات تتبخر وتسفر عن لاشيء، وهذا ما أكده لما قارن الموسيقى بالفكاهة فقال: (أما التندر وهو مثله مثل الموسيقى أهل لأن يعتبرمن بين الفنون الممتعة أكثر منه في عداد الفنون الجميلة).

فحينما لا يجد الفهم ما كان يتوقع وجوده و يدرك أشياء لا معقولة لم يكن يتصور وقوعها يؤدي به هذا الأمر إلى إثارة الضحك.

فالضحك هو انفعال ناتج عن تحول مفاجئ لتوتر إلى العدم ،وهذا التحول بالذات لا يسر الفهم إلا أنه يسره مع ذلك بشكل غير مباشر وبقوة شديدة اللحظة.(2)

1-إيمانويل كانط –نقد ملكة الحكم – ترجمة غانم هنا –توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت –طبعة 2005ص/264.
2--نفس المرجع ص/266.

ويؤثر هذا التمثل لعدم التوقع في الضحك المفاجئ ، الذي يسبب المتعة في القلب و بالتالي على الحياة من جديد، فالسرور الذي يتحقق عن عدم وقوع التوقع يخلق التوازن بين القوي الحيوية في الجسم وهذا المثال: يوضح كيف يتولد الضحك فجأة.

فمثلا: فقد روى أحدا، أن هنديا قد شاهد على طاولة إنكليزي قارورة جعة وقد تحولت إلى زبد ، فراح يبدي دهشه الكبير بكثير من التعجب ، ثم أجاب للانكليزي الذي سأله: وما الذي يثير الدهشـــة ممـا يحدث هنا إلى هذا الحد؟

فأجاب الهندي : ليس ما يدهشني هو كيف تطفح الجعة من القارورة ، وإنما كيف استطعتم أن تدخلوها إلى داخلها، عندئذ نضحك ويسبب لنا متعة في القلب: وذلك ليس لأننا ربما نحسب أنفسنا أشد ذكـــاء من هذا الجاهل أو لأي شيء أخر حمل فهمنا على ملاحظة شيء مرض في قوله وإنما لأن توقعنا كان مشدودا ثم أنعدم فجأة(1).

فيرى كانط أنه في الحقيقة ،الضحك لايحقق المتعــة للذهن الإنســان بل له تأثيره الايجابي على جسم الإنسان وصحته.فعندما تتعلق النفس بفكرة ما تكون في حالة توتر التي تؤدي إلى حالة الاسترخــاء بشكل مفاجئ ، فتنتج حركة نفسية ومعها حركة جسدية داخلية تنسجم معها حركة تستمر لاإراديـــا تكون مفيدة للصحة.

وقد جاء في كتابه نقد ملكة الحكم مايلي : (الرئة تدفع بالهواء نحو الخارج على دفعات متسارعــة الواحدة تلوى الأخرى، فتحدث حركة مفيدة للصحة ، تكون في الحقيقة – وليس مايدور في الذهن- السبب الحقيقي للمتعة التي توفرها فكرة لا تمثل في الواقع الأمرشيئا).(2)

وبما أن كل متعة التى تؤدي إلي البهجة و الضحك تثيرها أفكـار جمالية ، التي هي عبارة عن مظاهـر جمالية التي تؤثر تأثيرا شديدا علي حكمنا إلي لا شيء و بشكل مفاجئ ،فهذا التحول الشديد من حركة نفسية إلي أخرى تتلوها يسبب صدمة و إ ثارة الضحك لدينا و هذا ما أكده كانط بأن الفكاهـة تقــوم بغشنا ولو لمرة واحدة ، أي سرعنما ينكشف المخدوع في الشيء الجميل بشكل مفاجئ .

01-إيمانويل كانط –نقد ملكة الحكم – ترجمة غانم هنا –توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت –طبعة 2005ص /270

02-إيمانويل كانط نفس المرجع ص/268

وقد تعرض كانط لأمر آخر يثير البهجة و الضحك ، وهو لا يرجعه إلى موهبة لها علاقة بالفن الجميل مع أنه نابع من النفس البشرية بل يعد فن المتعة أو الهزل وهو ما يعبر عنه بالكوميديا ويعرف كانط الهزل:" هوكل التغيرات التي يتقبلها الإنسان إراديا وغائيا في خدمة عرض نشاط بواسطة مفارقة مثيرة للضحك"(1).

فيكون هذا العرض هزليا ، وينتمي هذا الفن الهزلي إلى الفن المرضي أكثر انتمائه إلى الفن الجميل إن موضوعه لابد أن يظهر دوما في ذاته شيئا من الوقار، فهو من هنا يتطلب نوعا من الجدية في العرض مثلما يتطلب الذوق في الحكم .

إن طبيعة الإنسان الأولية هي الاستقامة و بإعتبار،أن الفنون نابعة من أصل النفس أي من المواهب الفنية الموجودة في النفس . فمثلا : لا يمكن اعتبار السذاجة فنا ،إ لا إذا جاء شخص وتخلق بخلق السذاجة يصبح فنا وهو مايسمى بفن الهزل ، و الهزل عند كانط لا يكن في الطبيعة الأولى للإنسان فكل التغيرات الموجودة في الطبيعة الأولى هي تغيرات لاإرادية تسمى مزاجا ، أما التغيرات الإرادية التقليد و تقمص الشخصيات هي التي تسمي الهزلي .(2)

لقد عاب كانط على أن فن الكوميديا ليس فنا جميلا بقدر ماهو فن إ رضاء و استمتاع الناس به و إثارة الضحك ، ولكن نجده قد نسي بأن فن الكوميديا فنا هادفا يهدف إلى تحقيق أهداف اجتماعية ، فالضحك في الملهاة هو وسيلة فقط لا غاية في حد ذاته ، فغايته تصحيح عيوب الناس وإرجاع الأمور إلى الحياة الطبيعية والتي من شئنها أن تحقق التواصل الاجتماعي ، فكثيرا ما تكون العلاقات الاجتماعية هشة وغير مستقرة ، يكون الضحك والفكاهة عاملان مساهما ، في تحلي هذه العلاقات بنوع من الدفء الاجتماعي .

وعموما عند قرأتنا لنظرية كانط حول الضحك فهو ينظر إليه نظرة ناقصة ، يحث لا يعتبره أساسيا مثله مثل الأخلاق و العلم ،لأنه أكثر ارتباطتا بالإحساسات العابرة التي لا تترك أثرا معرفيا في الذهن الإنسان الذي يستفيد منه في التواصل الاجتماعي، بل له تأثير مؤقتا على نفس و جسم الإنسان حيث لا تلبث أن تتبدد و تختفي فتحاول النفس من جديد أن تنتقل إلى فكرة أخرى.

01--إيمانويل كانط –نقد ملكة الحكم – ترجمة غانم هنا –توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت –طبعة 2005ص /270

02--/ عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/102

وهكذا تكون نظريــة كانط حول الضحك، نتيجة إدراك المرء التناقض في المعنى مما يعطي جســده إحساســا مفاجئ ، حيث كان العقل يسير ويتوقع حدوث الايجابي ، فيتحول هذا التوقع إلى اللاشيء فيحدث استرخاء في الجسم، وراحة مفاجئة تسبب الضحك.

وبهذا عد كانط الضحك ظاهرة تقع خارج مجــال العقلي غير مرتبط بالمعرفة الخالصة أو المؤكــدة لأن الضحك ينطلق من فكرة عقلية ويصل إلي إحساس عابر .

ولكن لماذا يؤدي إخفاق التوقعات إلى الضحك ، وليس إلى الحزن أو الضيق؟

يجيب كانـط على ذلك ويرده إلى أمران: يتعلق بتحـول الجسم من حالة التوتر المصاحبــة لتوقــع الشديد، إلى حالة الراحة واستعادة التوازن الأول ، أما الأمـر الثاني فيتعلق بتلك الدهشــة أو تلك العبثية التي يقوم على أساسها الموقف المضحك.

فالضحك هو انفعال ينشأ عن ذلك التوقع الشديد المصحوب بالتوتر الذي يفضي فجأة إلى لاشيء.

وهكذا نجد كانط قد وضع الضحك قريبا من العالم الجمالي ، لأنه عدّه خبرة يستفيد منها الجســد قبل الروح الانسانية ، كما أنه لم يدين الضحك و لم يمتدحه، وهو الاب الحقيقي لنظريات الضحك التي ترجعه الى التناقض في المعنى .

وهذا ماسوف نراه عند تلميذه شوبنهاور ، حيث هو الآخر ينتمي الى هذه النظرية ،نظرية التناقض في المعنى، التي ترى أن الضحك هو حالة اكتشاف المرء للتناقض الموجود بين المتصور و المدرك بين لفكرة و المحسوس.

الضحك عند شوبنهاور:

ولد شوبنهاور (1788-1860)في عائلة ثرية ،وتفرغ للعلم والدراسة ، واتخذ حياة الانعزال طريقا له لأنه كان يعتبر العالم شر لابد من الانسحاب منه فبنى مذهبه الفكري على التشاؤم ، وجعل من التشاؤم محورا لنظريته في الوجود،فقد تأثرشوبنهاور في فلسفته بأستاذه كانط ، فأكد دور الإرادة التي يعمل العقل و الشعور في خدمتها،ورأى أن الحياة تعاقب ألم وضجر، نتألم إذا ما افتقرنا إلى شيء ما ونضجر إذا ما حصلنا على ما إليه افتقرناه، وهو بهذا ينظر إلي الحياة نظرة السخرية .

فهو فيلسوف متشائم ، كان يري بأفضلية الانسحاب عن الحياة الإنسانية ، ولم يحبذ المشارك الوجدانية وكان يرى شبنهاور أن الخلاص من هذا العالم اللامعقول والمسبب للتشاؤم يتم عبر طريقين، الطريق الأولى وهي طريق الأخلاق، أما الطريقة الثانية فهي الفن، ففيه يمارس الإنسان نشاطا خالصا لا يؤثرفيه نزوع الإرادة أو طموحها ، ويتحرر من الأغراض و الأهداف المميزة للإرادة، فأنت حين تمارس نشاطا فنيا لا تفعل ذلك لأن لإرادتك هدفا محددا تريد بلوغه، بل إن هذا النشاط خالص من كل غرض، فكل فن من الفنون المختلفة لا يحمل في طياته مقاصد لبلوغهابل كل فنان يعلو على الصفات الجزئية للأشياء ،إلى أن يصل إلى فن الدراما الذي تنقسم الى فن الترجيديا و الكوميديا .

فكان يري أن التراجيديا تعتبر الطريقة المثلى للهروب من الواقع ، أي التخلي عن إرادة الحياة العمياء و بالتالي الوصول إلى مرحلة الخلاص من عالم الشر. فالتراجيديا بذلك تدفعنا إلى مقاومة إرادة الحياة وإنكارها ، والنظر إلى متع الحياة على انه وَهْم زائف(1)

ولكن إذا كان شوبنهاور ينظر إلي التراجيديا على أنها قمة الفن الدرامي ،بسبب عضم تأثيرها وصعوبة إنجازها ، حيث تمثل أعلى درجات الصراع الإرادة في الوجود، وتعبر تعبيرا صادقا عن المعاناة و شقاء الحياة ، فهل اهتم بالجانب الثاني من الدراما؟ هل اهتم بفن الملهاة؟

و ما موقع الكوميديا من مذهبه الفلسفي؟

01-سعيد محمد توفيق –ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور- دار التنوير للطباعةو النشر- الطبعة الاولى-سنة 1983ص/237.

يجيب شوبنهاور أن الكوميديا هي فنا لا يقدم لنا الحقيقة الثابتة و الصحيحة المطابقة للوجودفهي تعمل على تقديم حقائق عابرة سرعنما نكتشف أنها ليست الحقيقة المرجوة.

وقد جاء في كتاب ميتافيزقا الفن عند شوبنهاور عن الكوميديا ما يلي:"إن كانت تقدم لنا أحياناالمعاناة والمصائب فهي لا تقد م ذلك باعتباره نسيجا للوجود، بل باعتباره شيئا عابرا يمكن أن ينحل إلى فرح ويمتزج بالنجاح و الآمال، وبصفة عامة فهي تقدم لنا الحياة كشيء حسن دائما ولهذا يري شوبنهاور أن المتأمل للكوميديا بجدية سيجد أن مواقفها الهزلية :كالنطق ،و الحركاتالساذجة ، والغضب الوقتي، و الحسد الذي تضمره النفس ، إنما هي مواقف لا تمثل الجانبالحقيقي للحياة، وسيدرك أن هذه الأشياء أو المواقف لا يمكن أن تكون غاية، لأنها أتت إلى الوجود عن طريق الخطأ، وأنها ما كان يجب أن تكون"01 فمن خلال ذلك خلص شوبنهاور أن الكوميديا ليست الأسلوب الذي يزيح السراب السرمدي للفرد ويؤدي بيد الإنسان إلى اكتشاف الحقيقة الوجودية ، بل جعل كل ما تقدِمه هذه الأخيرة من كلمات وحركات وأشكال هي مواقف هزلية تثير الضحك و السخرية.

فقد صور شوبنهاور تعاسة الحياة و السخرية منها في أحس الصور ، وهو القائل:" نحن تعساء في زواجنا وفي عزوفنا عن الزواج، تعساء في اجتماعنا بالناس كالقنافذ تقترب من بعضها لتشعر بالدفء،ولا تشعر بالراحة إذا أشتد التصاقها ،ومع ذلك فهي تعيسة في ابتعادهاعن بعضها، إن الحياة مضحكة, ولكنه ضحك كالبكاء. لو تناولنا ما في تفاصيل حياة الفردلوجدنها ملهاة مضحكة"2.

01–وفيق غريزي –شبنهاور و فلسفة التشاؤم -دار الفارابي بيروت لبنان- الطبعة الاولي ص/137

02سعيد محمد توفيق –ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور- دار التنوير للطباعةو النشر- الطبعة الاولى-سنة 1983ص/238.

لقد تناول شوبنهاور الضحك في كتابه المشهور " العالم كإرادة وتمثل" وفسر منشأ الضحك بإفقاره إلى التجانس ،و التناقض بين المتصور و المدرك أي بين المعقول و المحسوس. فنظريته قائمة على التعارض والتضاد الغير المتوقع ، أي إلى إ دراج لموضوع أو لشيءتحت مفهوم أو تصور معين في فترة ما، لكن هذا الشيء يصبح، بعد ذلك ، فسياقات أخرىمتعارضا أو متناقضا في معناه مع ذلك التصور، أو غير متجانس معه، وهكذا ينشا الضحك من إدراك التناقض في المعنى بين المتصورو المدرك.

فهو يفسر سِرُ الضحك بالازدواج الكامن في الطبيعة الإنسانية : الازدواج بين الفكر و العمل بين المثالي و الواقعي .

"فنضحَك حينما ندرك التناقض بين الفكرة المجردة التي نُكونها عن الشيء من الأشياء وحقيقة هذا الشيء وواقعيته، وظهور التناقض فجأة وعلى غير انتظار منا يبعث سرورنا ويثيرضحكنا"(2)

فهذا التناقض المُدرك بطريقة فجائية بين العقل و الإحساس و سرورنا بانهزام العقل وانتصارالإحساس يثير الضحك، وتأملنا هزيمة الفكر وانتصار البداهة يغرينا بالسخرية ، فنحن حينما نفرح بهزيمة العقل إنما نفرح بهزيمتنا ، ونُسرُّ بغلبتنا وسخافتنا ولهذا السبب كانت السخرية أقرب إلى الحزن التي تتضمن بعض صفاه المأساة أعمق في نفوسنا وأقرب إلى طبائعنا من الضحك ، وما أصدق المعري :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا.**

فالضحك أمر سطحي عارض أما السخرية عميقة ولاصقة بطباعنا، ولعل نظرته إلى الضحك قد تأثر بها برغسون حيث أعتبر الضحك نتيجة الثورات العميقة للمجتمع أي نتيجة التناقضات التي تبرز على مستوى الفكري السلوكي لكل فرد من أفراد المجتمع ،وانحرافهم عن النظام الاجتماعي الواحد،وسنتطرق الى نظرية برغسو ن في الفصل الثالث بكل تفصيل.

01-عبد العزيز شرف –الأدب الفكاهي –الشركة المصرية العالمية للنشر-الجيزة مصر- الطبعة الأولي-1992 ص/12

أنواع الضحك عند شوبنهاور:

الظرف و الدعابة:

ويعد الظرف بمثابة الحالة التي يكون المرء قد عرف خلالها في السابق موضوعين مختلفين،ويقوم بالربط بينهما للوصول إلي المفهوم الجديد،ومن الأمثلة الدالة على الظرف، قصة ذلك الملك الذي كان يضحك من فلاح متباهٍ، يلبس ملابس الصيف الخفيفة خلال طقس شتائي، شديد البرودة، فقال له الفلاح :"إذا ارتديت جلالتكم ما أرتده ستشعر بدفء كبير". وعندما سأله الملك: " وما الذي ترتديه ؟ ". قال الفلاح:"خزانة ملابسيالكاملة".في ضوء التناقض الموجود في هذا الموقف يكون علينا –كما يقول شوبنهاور – أن نفكر في كل من خزانة ملابس الملك الكبيرة العامرة بالملابس الفاخرة، و في السترة الوحيدة لهذا الفلاح الفقير، لكنه شديد الاعتزاز بها.(1)

فهذا النوع الأول من الضحك هو النوع الذي ينتقل من الشيء المحسوس إلي التصورأي من الأشياء المدركة إلى الفكر وهو النوع الذي فضله شوبنهاور علي أنواع الضحك الأخرى.

الحماقة:

فهي حالة يبدأ المرء خلالها بمفهوم معين يندرج تحته موضوعان، ثم يدرك، بشكل مفاجئ الفرق بينهما . هكذا يكون كل فعل مثير للضحك لدى شوبنهاور، إما ومضة ظرف بارع ، وإما نشاطا متسما بالحمق.ويقوم الفرق هنا على أساس ما إذا كانت العملية تتقدم هنا، من خلال ذلك التفاوت من الأشياء إلى التصور، أو من التصور إلى الأشياء.

أما النوع الثاني من مثيرات الضحك فيتحرك من اتجاه معاكس ، أي من المفهوم أو التصورالمجرد على الشيء الواقعي الخاص بالإدراك وهو الشيئ الذي يتم التفكير فيه من خلال ذلك المفهوم .لكن حضور هذا الشيئ يجلب معه نوعا من التناقض في المعنى أي المفهوم وهو تناقض لم يكن ملحوظا في الماضي، ونتيجة ذلك تنشأ اللامعقولية من خلال ممارسة الأفعال الحمقاء ، ومثلما تتلطب المسرحية فعلا مسرحيا ، فإن هذا النوع من الفعل المثير للضحك أمر جوهري في الكوميديا .

01 -/ عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/94

وهنا مثال يوضح ذلك يذكره شوبنهاور:

هو ماحدث عندما قال رجل ما إنه مغرم بالمشي بمفرده ، فقال رجل نمسوي " إنك تحب المشي بمفردك ، وكذلك الحال بالنسبة إليَّ،ومن ثم يمكننا أن نمشي معا".

لقد بدأ من المفهوم أو التصور الخاص المتعلق بتلك المتعة التي يشعـر بها هذان الرجـلان على نحو مشترك بينهما ، شريطة أن يقوم كل منهما بنشاطه على نحو منفرد ن فهذه المتعة ستتبدد بلا شك لو قاما بعملية التريض أو المشي معًا خلال الوقت نفسه . لقد بدا الأمر بمفهوم المتعة التي يشترُك هذان الرجلان في الشعور بها ، ثم أدرج تحته الحالة نفسها التي تستبعد هذا التشابه أو هذه الصُحبة بينهما فا لأول منهما مغرم بالمشي وحده ، والثاني يتجاهل غرام صاحبه هذا.(1)

وقد أنحاز شوبنهاور الي الجانب الخاص بالمدركات الحسية ، فقال إنه في كل صراع يظهر على نحو مفاجئ بين ماهو مدرك وماهو مفكر فيه أي متصور ، فإن ما هو مدرك هو الصواب وذلك لأنه لايخضع للخطأ ، ولا يتطلب إثباتا من خارجه ، لأنه واضح كل الوضوح في ذاته وصراعه مع التفكير ينشأ عن حقيقة أن التفكير بكل تصوراته المجردة لا يمكنه أن يهبط من عليائه ، ويحيط بكل الفروق الخاصة بالأشياء العينية .

وهكذا يمنحنا انتصار معرفة الإدراك الحسي على معرفة التفكير العقلي متعة خاصة لأن الإدراك الحسي هو أساس المعرفة ، فحواسنا هي الواسطة بين الذات و العالم الخارجي أي هي التي تُعرف لنا العالم ، ولما كان العقل في منزلة أسمى من منزلة الحواس فهو لا يريد أن ينزل منزلة الحواس ، وهنا نشهد الصراع بين العقل و الإحساس، بين المجرد و المحسوس وهذا الصراع يؤدي إلي انتصار المدركات الحسية حيث لا يتقبل العقل هذه الهزيمة ألأمر الذي يؤدي إلى المتعة و إثارة الضحك.

01-/ عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/95

فمن خلال ما سبق ذكره ندرك أن نظرية شوبنهار حو ل الضحك تقوم على الأسبقيــة المنطقيــة في الحالتين الآتيتين:

من الإدراك الحسي نحو التصورالعقلي أو الفكرة ويظهر هذا النوع بشكل جلي في الظرف والدعابة فهنا نضحك من غلبة الإحساس على العقل، من تفوق الواقع على المثال.

ومن التصور العقلي نحو المدرك الحسي ويظهر هذا النوع في الحماقة العقلية، وهنا يضحك المرء من الهزيمة التي مُنيّ بها العقل أمام الإحساس .

ويصل شوبنهاور إلى خلاصة، أننا إذا ضحكنا على سخافة العقل وتفوق الإحساس أولا، وسخرنا من هزيمة العقل الغير المتوقعة ثانيا، ففي كلتا الحالتين نحن نضحك على أنفسنا ونسخر من ذواتنا لأنه ليست هذه الحقيقة ،فالحقيقة أليمة هي عبثية هذا الوجود المؤدي إلى الحزن و التشاؤم و ليس إلي الضحك والسخرية، لأنه كان يظن أن الفردُ أقرب إلى الحُزن مِنَ المرح والضحك.

بالإضافة إلى هاذين النوعين الهامين من مثيرات الضحك في نظريته، تطرق شوبنهــاورإلى أنــواع أخرى فرعية من الضحك وهي:

01 – المحاكاة التهكمية :

وهي ترتبط بالعمل الفني ، فالتناقض الموجود بين التصور وبين العمــل الجديد المدرك،الذي يرتبط به فجائيا يثير الضحك.

02 - النكتة :

وهي محاولة إثارة الضحك بشكل قصدي وهي طريقة لخلق نوع من التفاوت بين التصورات الآخرين والواقع ، أي محاولة زعزعت التصوارت الذهنية المنطقية مع الواقع الجديد الذي يحمــل تصورات جديدة .

03-التهكم:

هو أسلوب يتم عن طريقه إخفاء المزاح و الضحك خلف الجدية، وهو أسلوب ساخر أعتمده سقراط في محاوراته الفلسفية حول مع محاوريه ، وما يبدو منهم من سخافة أراءهــم وسذاجة أفكارهــم فالتهكم أسلوب هزلي من فرد أتجاه فرد آخر، لأنه نقيض الجدية .

04-الفكاهة:

تعتمد فرأي شوبنهاور على مزاج لحظة ،ذاتي خاص ، لكنه متسم بالجدية و الجلال وتتصارع الفكاهة على نحو لا إرادي مع العالم الخارجي المشترك الشديد الاختلاف معها ، أنها لا يمكنها أن تسلم نفسها لهذا العالم ، ولا يمكنها أن تتجنبه ، ومن ثم يكون على صاحبها أن يقوم بتسوية مع العالم الخارجي (1).

الجدية و الهزل:

يشير مفهوم الجدية كما يرى شوبنهاور إلى ذلك الاتفاق التام أو الاتساق بين التصور من ناحية وبين ما يتم إدراكه في الواقع من ناحية أخرى.

ويقول شوبنهاور أن أكثر الناس جدية ، هم ايضا أكثرهم قابلية للضحك من قلوبهم ، عندما تظهر عمليات تناقض بين ما يتصورونه ومايدركونه بفعل بعض التفاهات غير متوقعة.(2)

وهي نظرة قد لاتكون صادقة عند الكثير من الناس ، حيث الواقع الاجتماعي يكذب ذلك ، إذ نجد فيه أن اكثر الذين يميلون الى الضحك هم الأقل جدية ، حيث تجدهم دائما يبحثون في الحياة عن الجوانب الهزلية التي تثير ضحكهم وإستمتاعهم بها.

وبهذا نصل الى خلاصة أن نظرية شوبنهاور في الضحك ، تنتمي إلى النظريات الفلسفية القائلة بأن الضحك منشأه التناقض في المعنى الذي يظهر للعيان بطريقة فجائية غير متوقعة.

وقد أرجع المتع و البهجة الخاصة بالضحك ، إلى رغبتنا في الهروب من العقل وأعبائه ، الذي هو في خدمة الارادة.

01-/ عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/99
02-/ عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/97

المبحث الثالث: الضحك في الفكر العربي.

الضحك في الإسلام:

إن الضحك خاصية إنسانية مرتبطة بالوجود الإنساني، فلا يمكن تصور الضحك خارج مجال الإنساني وهو يتمظهر من خلال متغيرات خارجية مختلفة تبعث على وجود ه.

فقد وجدت كلمة الضحك في القران الكريم مرات عديدة تختلف معانيها من آية إلى أخرى، فكل كلمة تحمل في طياتها مضمونا انطلاقا من موضعها في السياق النص القرآني ، فنجدها دلالة عن السخرية و الاستهزاء كما جاء في سورة المطففين:« إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهليهم انقلبوا فاكهيين، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين ، فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون».

فالضحك هنا نابع من السخرية و الاستكبار من القوم الكفار على المؤمنين واستصغارهم، و الضحك الأخيريأتي حين لم يكن في الحسبان ، أي وقوع ما لم يكن متوقع كم جاء في فلسفة كانط.

وهنا قصة من القصص القرآني اجتمعت فيها كل عوامل النفسية لتفسير الضحك وهي قصة سيدنا إبراهيم حين زاره الملائكة فلم يعرفهم وخافهم ثم بشروه بولادة إسحاق عليه السلام من زوجته سارة. «.....فلما رأى أيدهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ومرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب ». فكل عوامل الضحك تأتي هنا في هذه الآية في اطراد من الشعور بالاطمئنان بعد الخوف وبشارة بما ليس في الحسبان من الولادة بعد سن اليأس(1).

ومن أكبر بواعث الضحك في هذه القصة الشعور بالتناقض في الحالات النفسية بطريقة فجائية زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام، حيث لم تتحمل الخبر المفاجئ فوقع ما لم يكن يتوقع فدفعها إلى الضحك.

وقد وردت عدة آيات تشير إلي الضحك تحت دلالات مختلفة جلها لا تخرج عن هذه العوامـــل من الشعوربالمفاجأة و التناقض في الكلمات و المواقف و الاطمئنان بعد الخوف وكذلك وقوع ما لم يكن أن يتوقع.

01-عباس محمود العقاد -جحا الضاحك المضحك-ط- دار الكتاب العربي بيروت لبنان1969/ص38

فنلاحظ أن هذه العوامل المختلفة كانت أساسا لتفسير الضحك عند مختلف النظريات الفلسفية اللاحقة التي التي ظهرت بعد الحضارة الإسلامية في الفلسفة الغربية.

أما في السنة المطهرة فقد جاء في الحديث الشريف :« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فالرسول (ص) كان أكملنا أخلاقا وأحسننا سلوكا و أطيبنا كلاما، وهذا ما أكده العلماء أنه (ص) كان في سائر يومه مبتسما وكان يمازح أصحابه ولكنه لا يقول إلا حقا، فكان جل ضحكه تبسما وقد جاء في حديثه الشريف:« التبسم في وجه أخيك صدقة».

ويسجل ابن القيم وصفه في الضحك أنه كان جل ضحكه التبسم ، بل كله التبسم ، فكان نهاية ضحكه أن تبدونواجذه ، وكان يضحك مما يضحك منه، وهو مما يتعجب من مثله ويستغرب وقوعه ويستندر ثم يضيف بعدأن سجل الوصف هديه وفلسفته في الضحك فيقول:« وللضحك أسباب عديـــدة هذا أحدها ، والثاني : ضحك الفرح وهو أن يرى ما يسره أو يباشره.والثالث: ضحك الغضب ، وهو كثيرا ما يعتري الغضبان إذا اشتدغضبه وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب ، وشعور نفسه بالقدرة علي خصمه وأنه في قبضته ،وقد يكون ضحكه لُملكه نفسه عند شدة الغضب وإعراضه عمن أغضبه وعدم اكتراثه به.

وما يؤكد ذلك مايرويه أنس من مالك رضي الله عنه فيقول:«كنت أمشي مع رسول وعليه ُبـرد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذب بردائه جذبة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق رسول الله وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال:يا محمد مر لي ِمن مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك،ثم أمر له بعطاء».(1)

وفي كتب الفقهة الاسلامي ، لم تخل من موضوع الضحك ، إذ تحدثوا عنه في نواقض الوضـوء ومبطلات الصلاة، فمن المبطلات الضحك ، وقفد فصّلوا في ذلك بين العمـد و السهـو، وهل هي القهقه أم التبسم الذي يظهر منه النواجذ؟...الخ ، وقد أجمع الفقهاء أن الضحك مبطل للصلاة لقوله تعالى: "وهم في صلاتهم خاشعون"والخشوع يعني عدم الضحك ، ألا أن بعضـهم تسامـح في التبسم.(2).

01 جريدة صدى وهران بتاريخ 2010/10/26 صفحة نور الإسلام.
02-جريدة الجزائر نيوز الصادرة يوم : الجمعة 2010/10/25.

فلسفة الضحك عند الجاحظ:

من هو الجاحظ؟ إن من ابرز الشخصيات العربية الذين كان لهم باعا واسعا في تناول موضوع الفكاهة و الضحك في جل مؤلفاتهم نجد أبا عثمان الجاحظ، وهو بن بحر بن محجوب الكناني ولقبه : الجاحظ و " الحدقي" لبروز عينيه وكنيته أبو عثمان ، ولد ببصرة خلال العقد السادس من القرن الثاني الهجري ، وقيل أنه مات و الكتاب علي صدره، أو كما أشار الزر كلي في كتابه " الأعلام" قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، ومن مؤلفاته الشهيرة " البيان و التبيين" وكتاب " الحيوان" وكتاب البخلاء وغيرها .

وأهم ظواهر أدبه في كلامه و سلوكه وتفكيره وفي حياته العامة و الخاصة ما أمتاز به من روح فكهة مرحة عابثة وساخرة تخفف أعباء الحياة ، تقوم بالدعابة وتميل إلى التهكم وتمزج الجد بالهزل وثقل العلم بالمرح و الضحك.(1)

يقول عبد الغني العطري في كتابه" أدبنا الضاحك": راجت سوق الضحك في صدر الإسلام رواجا عظيماوصار للظرفاء و المضحكين شأن أي شأن ، فقد أخذ الخلفاء و الأمراء و الأثرياء يدنون من مجالسهم أهل الظرف و النادرة ، ليمتعوا أنفسهم بالنكتة الحلوة و الفكاهة التي تنزع الضحك من الوجوه العابسة(2)

فهذا الجو السائد دفع بالمؤلفين إ لي الكتابة حول النادرة و النكتة البارعة، على أن أسبقهم كان الجاحظ الذي مزج في أسلوبه بين الجد و الهزل.

و لقد سماه الدكتور / عبد الكريم اليافي في كتابه الرائع دراسات فنية في الأدب العربي بأمير الضحك.

وكان وُلوع الجاحظ بظاهرة الضحك أرجعه الباحثون و النقاد إلي احتمالين:

***- صفاته الجسمية مثل جحوظ عينه و مظهره الخارجي، ولأنه كان ذميم الخلقة ، قبيح المنظر هجاه أحد الشعراء:**

01–عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت 2003 /263
02- عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك نفس المرجع ص/264

.

لولا يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ماكان إلا دون قبح الجاحظ

رجل ينوع(ينوب)عن الجحيم نفسه * وهو القذى في كل طرف لاحظ (1)

والجاحظ هو نفسه يسخر من نفسه من قبح منظره في هذه القصة: فيقول : ماأخجلني أحد إلا امرأتان رأيت إحدهما في العسكر ، وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام ، فأردت أن أمازحها، فقلت لهاك انزلي كلي معنا ،فقالت: أصعد أنت حتى ترى الدنيا، أما الثانية ، فإنها أتتني وأنا على باب داري ، فقالت : لي إليك حاجة ،وإريد أن تمشي معي ، فقمت معها إلي أن أتت بي إلى صائغ يهودي ، وقالت له: مثل هذا وانصرفت . فسألت الصائغ عن قولها ، فقال: أتت لي بفص ، وأمرتني أن أنقش عليها صور ة شيطان، فقلت لها : مارأيت الشيطان ، فأتت بك ، وقالت ماسمعت.(2)

وقد أرجع الدكتور/ طه الحاجري ولوع الجاحظ أيضا بفن الفكاهة و الضحك إلي ماعشته مدينة البصرة من تنوع الثقفات ،و التمازج العنصري بين الأجناس المختلفة و المعتقدات ، فهدا الزخم الثقـــافي و الفكري المتمثل في توافد الثقافات الهندية و الفارسية و اليونانية ، كان مــادة الجاحظ في النقـــد و الوصف من خلال أسلوبه الساخر لمختلف المواضيع المجتمع حتى ينتصر لرأيه ويتغلب لمذهبه.

فهذا هو الجاحظ وعصره و العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية الجاحظ الساخرة.

فماهي رؤيته أو نظريته حو ل الضحك؟ وماهي أهمية الضحك عنده؟

نظرية الجاحظ في الضحك:

قد بلغ شغف هذا المفكر الأديب إلى الضحك و الإضحـــاك أنه كان قبل الفيلسوف الفرسي هنري برغسون ُينظر ويكتب عن الضحك و الفكاهة في جل كتاباته ، حيث أنه من يقترب من الجاحظ يرى أن من مميزاته :" نزعة فطرية إلى التهكم و الضحك ، فقد ساعدته هذه النزعة على التغلب على مصاعب كثيرة ، أعترضه في الحياةفهو ما كان ينظر إلي هذه الحياة من زاوية سوداء ، بل العكس كان ينظر إليها من زاوية وضاءة..... "(3)

01-الاسفراييني-طاهر بن محمد: التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين-تحقيق كمال يوسف الحوت ط01بيروت 1983ص/80
02-محي الدين اللاذقاني- أباء الحداثة العربية – مؤسسة الانتشار العربي-ط/الثانية سنة1998ص/23.
03-جميل جبر : الجاحظ في حياته وأدبه وفكره –بيروت دار الكتاب اللبناني للنشر 1968ص/152

ولقد وصفه الدكتور عبد الحليم محمد حسين في كتابه السخرية في أدب العربي:"كان ظلا خفيفا، وروحا طروبا، ونفسا طليقا، وسخرية هادئة وابتسامة مشرقــة، لا تعرف العبوس تغذي قلبــك وعقلك".(1)

ولعل طريق التهكم و الضحك الذي اتخذه الجاحظ يعتبر أسلوبا حكيما و ذكيا في نفس الوقت و حتى لا يلحق الاذي و الضرر بنفسه ، حيث تعددت خصوماته ومعارضيه نتيجة أسلوب التهكمــي اللاذع في بعض كتاباته فا الأسلوب ألجاحظي كان بمثابة السلاح الذي يستعمله إما دفاعا عن نفسه أو محاولة التقرب من ذوي الجاه و السلطان ، أو كنوع من الاستنكار لموقف ما كان يجب أن يكون صحيحا ، أو ترويحا عن النفس لما يعتريها من كد وسأم نتيجة متاعب الحياة هذا من الناحية ومن الناحية الفنية والجمالية فقد أعتبر الجاحظ فعلا جميلا لأنه من أفعال وصفات الذات الإلهية ، فالله جميــل وهو يحب الجمال في كل شيء فكثيرا ماورد في النصوص القرآنية والسنية أن الذات الإلهيــة هي التي تثيــر الضحك في الإنسان " وأنه هوأضحك وأبكى"(2)

فقد مزج الجاحظ بين الضحك و الحياة الجميلة، خلافا لما عرفناه عن بعض الفلاسفة مثل أرسطو الذي مزج الضحك بالقبيح.

فقد مدح الضحك وأعلى من شأنه لنستمع إليه وهو يصف الضحك وموقعه من النفس الإنسانيــــة يقول:" وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما و من مصلحة الطباع كبيرا وهو شيء في أصل الطباع وفي أساس التركيب لأن الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه ،وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علة سرور هو مادة قوته .

ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمى أولادهابالضحّــاك و بسام وبطلق وطليــق،وقد ضحك النبي(ص) ومزح وضحك الصالحون و مزحوا ، وإذا مدحوا قالوا : هو ضحوك السن و بســام العشيات و هش إلى الضيف ، وذو أريحية(3)، واهتزاز(4) ، وإذا ذموا قالوا : هو عبوس،وهو كالح ، وهو قطوب.....

01-عبد الحليم محمد حسين – السخرية في أدب الجاحظ –دار الجماهرية للنشر و التوزيع و الاعلان ليبيا طبعة 1987ص/37
02-سورة النجم 43 -44
03-الأريحية :خصلة تجعل الإنسان يرتاح إلي أعمال الحميدة وبذل العطايا
04-الاهتزاز الارتياح

.

و للضحك موضع وله مقدار ، وللمزح موضع وله مقدار متى جازهما أحد وقصر عنهما أحد،صـار الفاضل خطلا(1) و التقصير نقصا . فالناس لم يعيبوا الضحك إلا بقدر و لم يعيبوا المزح إلا بقـدر، ومتى أريد بالمزح النفع و بالضحك الشيء الذي له جعل الضحك صار المزح جدا ، و الضحك وقارا" ويمتدح الجاحظ الضحك و الضاحكين فيقول أيضا:" ولو كان الضحك قبيحا من الضاحك وقبيحا من المضحك ، لما قيل للزهرة و الجرة و الحلي و القصر المبنـي كأنه يضحك ضحـكا وقد قال الله غزو جل:"وأنه هو أضحك ،و أبكي وأنه أمات و أحيا"فوضع الضحك بحذاء الحياة، ووضع البكاء بحذاء الموت ، وأنه لا يضيف الله إلى نفسه القبيح، ولا يمن على خلقه بالنقص. (2)

فلما كان لكل فرد من أفراد المجتمع ،وسيلة خاصة في مجابهة الإشكاليـات المطروحـة من مواقف وحوادث مختلفة،وكل واحد من البشر له طريقته الخاصة،فمنهم من يواجهها بالشجاعة والقوة،ومنهم من يتحاشى هذه المشاكل ويهرب منها بلباقة، لكن الجاحظ كان يواجه المصاعب بالضحك و الابتسام و السخرية والتعريض في بعض الأحيان، وهو أسلوب العالم المتأدب، صاحب الحيلة و الذكاء و الفطنة، وقد أتخذ الضحك عنده عدة أشكال وتجليات مختلفة هي:

-الضحك وسيلة الدفاع عن النفس: فنظرا لأسلوبه التهكمي اللاذع وتعريضه بخصومه وذكره لعيبوبهم، أستعمل الجاحظ في كتاباته أسلوب الهزلي وذلك لإبعاد الضرر عن نفسه وقد تجلى هذا في رسالته بين الجد والهزل التي أرسلها إلى إبن الزيات لتكون دستوراأخلاقيا من خلال استخدامه أسلوبه التهكمي وجاء فيها ما يلي:

" وأعلم أنك لاتزال في وحشة إلى وحشة إلى غربة وفي تنكر العيش وتسخط الحال حتى تجد من تشكو إليه بثك و تفضي إليه بذات نفسك، ومتى رأيت عجبا لم تضحكك رؤيتك له بقدر ما يضحك إخبارك إياه...ولو أن شيبتي التي بها استعطفتك وكبرة سني التي بها استرحمتك.....لكان في شفاعة الكبيرة واسترحام الضعف والوهنة ما يردعك عني أشد الردع ،ويؤثر في طباعك أبين الأثر فكيف وقد أكرمتني جديدا ثم تريد أن تهينني خلقا"(3)

ويزيد الجاحظ تعجبا واستهزاءا من هذا الأمير (ابن الزيات) :" سبحان الله يسلم عليك حيدر الأفنتيش

01- خطلا : الحمق والكلام الكثير الفاسد.
02-الجاحظ البخلاء-وضعه محمد عبد الكريم النمري –دار الكتب العلمية بيروت –ط:الثالثة سنة 10/2005
03-الجاحظ- فلسفة الجد و الهزل – قدمه وشرحة د/ الشيخ محمد علي الزغب دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ص/131

ويهلك عمرو الجاحظ، ويسود بك أبعد البعداء ، ويشقى بك أقرب القرباء، وتتغلغل إلى المحقرات طلبا للتعرض وحبا لشر..... "(1)

وفي هذه الرسالة الكثير من التأنيب و التقريع و المزاح الذي له تأثير نفسي أكثر من الجد، حيث كان الجاحظ يصبو إلى تصحيح سلوك الوزير و تقويم أسلوبه في تدبير شؤون الخاصة والعامة ،من الناس علي أساس من الأخلاق الحميدة وتركه لظلم و البغي.

2- الضحك ترويح عن النفس (الدعابة و التسلية):

من خلال قراءاتنا للجاحظ تتجلى القيمة التربوية للضحك عندما يقوم العنصر الهزلي بإدخال السرور و الراحة في نفسية الشخص المتعلم و ذلك لتجديد النشاط، وحتى لا يكدهم الملل والسأم.

وقد جاء في مقدمة كتاب البخلاء:".....وما يجوز منه في باب الهزل،وما يجوز منه في باب الجـد ، لجعل الهزل مستراحا والراحة جماما ، فإن للجد كدا يمنع من معاودته،ولابد لمن ألتمس نفعه من مراجعته".(2)

هكذا يكون الضحك عند الجاحظ السبيل الوحيد لمواصلة النشاط لأن الجد المستمر دون إنقطاع من شأنه أن يبعث عل الكلل والابتعاد عن الجد.

إن المتصفح لكتب الجاحظ يجد أن فئة البخلاء وصفاتهم كانت محور التي تقوم عليها نظريتـــه في الضحك فهو يستند في فكره الضاحك إلى المتناقضات و المتضادات ،ومن نوادره الكثيرة التي لاشك أنها تقوم على التناقض بين المعنى و الواقع نجد هذه النادرة الموجودة في كتاب البخلاء يصف أستاذه أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة قال:" إن أبا الهذيل كان أسلم الناس صدرا ، ,أوسعهم خلقا، وأسلسهم،سهولة. أهدى إلى مويس بن عمران دجاجة ، فجعلها مثلا لكل شيء، فيسأل مويسا: كيف رأيت الدجاجة يا أبا عمران ؟ فيقول: كانت عجبا من العجب ، فيقول (أبوا الهذيل) :وتدري ما جنسها؟ ، وتدري ماسنها؟أتدري بأي شيء كنا نسمنها؟ فلا يزال في هذا وأبو عمران يضحك ضحكا نعرفه ولا يعرفه أبوالهذ يل لما كان به من سلامة الصدر .وكانت إذا ذكرت بطة، أو بقر قال:فأين هذه الجزور (الجزور ما يؤخذ من لحم المجزور ،أي المذبوح من النوق، أو البقر أو الغنم) في الجزر من تلك

01- الجاحظ- فلسفة الجد و الهزل – قدمه وشرحة د/ الشيخ محمد علي الزغبي دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ص/128
02- الجاحظ -البخلاء –تحقيق طه الحاجري الطبعة الرابعة القاهرة دار المعارف ص/57

الدجاجة في الدجاج !

، وإذا ذكروا ميلاد شيء أو قدوم إنسان، قال: كان ذلك بعد أن اهديتها لك بسنة ، وما كان بين قدوم فلان و البعثة بتلك الدجاجة إلا يوم.

ومع هذا البخل فكان أبو الهذيل يقول : أنا رجل منخرق لا أليق درهما(أي ما يبقي شيئا منه لفرط جوده) ويدي هذه صفاع (أي مبسوطة الكف لا تمسك شيئا) في الكسب ، و لكنها في الإنفاق خرقاء ، كم من مائة ألف قسمتها على الإخوان في المجلس".(1)

ففي هذه النادرة فكاهة تجعل الفكر في حيرة و من ثمة تبعث فيه الضحك نتيجة اختلال القيم و تناقضها من خلال تصوير الجاحظ لهذه القصة تصويرا فنيا رائعا حيث يتحدث عن أستاذه و شيخه الكبير وفي نفس الوقت بخيلا ، ويدعي الكرم و الإسراف ، وحديثه عن الدجاجة الذي أثار الضحـــتك عند ابوعمران ،ولعل ضحكه نابع من إدراكه لتناقض الموجود على مستوى هذه الشخص المشهور صاحب العلم الواسع ،ينزل من كرسي العلماء إلى مصاف الدهماء،ومن العقل المفكرإلى العقل الساذج.

3- الضحك من المواقف أو الطباع البشرية :

وفي هذا العنصر نكتشف أن الجاحظ قد اهتدى إلي قيمة الضحك الاجتماعية ،وقرر أن الإنسان لا يضحك منفردا بمقدار ما يضحك إذا تجاوب معه آخرون على الشيء المضحك، فالضحك لابد له من جماعة تشترك في انفعال واحد، يظهر هنا أن الجاحظ ، منذ القديم قد عرف للضحك صفته الاجتماعية ، وهذه نادرة من النوادر التي أوردها في كتاب البخلاء تقرر ما قد سلف ذكره ، بالإضافة مافي القصة من جودة عرض وحسن بيان و إضحاك من طبع البخيل ومحاكمته وهي هذه:

" صحبني محفوظ النقاش من مسجد الجامع من منزلي ،وسألني أن أبيت عنده، وقال: أين تذهب في هذا المطر و البرد ،ومنزلي منزلك ،وأنت في ظلمة ، وليس معك نار ، وعندي لبأ لم ير الناس مثله، وتمر ناهيك به جودة ،لاتصلح إلا له ، فملت معه. فأبطأ ساعة ، ثم جاءني بجام لبأ وطبق تمر .فلما مددت قال: ياأبا عثمان ، إنه لبا وغلظة ، وهو الليل وركوده، ثم ليلة مطر ورطوبة .

01- د/ عبدا لحميد خطاب- كتاب الضحك بين الدلالة السيكولوجية والدلالة الاستيطيقية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2006 ص/91

وأنت رجل قد طعنت في السن ولم تزل تشكو من الفالج طرفا، زال الغليل يسرع إليك .وأنت في الأصل لست بصاحب عشاء.

فإن أكلت اللبأ ولم تبالغ كنت لا آكلا و لا تاركـا ، وحرشت طباعك ثم قطعت الأكل أشهـى ماكـان إليك.وإن بالغت بتنا في ليلة سوء من الاهتمام بأمرك، ولم نعد لك نبيذا بين نابي أسد .لأنـي لو لم أجئك به، وقد ذكرتك لك، قلت، بخل به وبدا له فيه . وإن جئت به ولم أحذرك منه ولم أذكرك كل ما عليك فيه قلت لم يشفق علي و لم ينصح فقد برئت إليك من ألأمرين جميعا. فإن شئت فأكلة وموته ، وإن شئت فبعض ألاحتمال ونوم على سلامة.فما ضحكت قط كضحكي تلك الليلة. ولقد أكلته جميعا فما هضمه إلا الضحك و النشاط و السرور فيما أظنو لو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به لأتي علي الضحك أو لقضي علي. ولكن ضحك من كان وحده لايكون على شطر مشاركة الأصحاب.(1)

ومن ثم فالجاحظ يقرر أن الضحك يحتاج إلى مشاركة وجدانية من ألآخرين، فهذه العبارة الأخيرة التي ختم بها الجاحظ قصته عن ما جرى بينه وبين محفوظ النقاش:" ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطرمشاركة الأصحاب". تدل على أن الضحك مشاركة جماعية، و النكتة يتذوقها و يستمتع بها السامع في جماعـة ، أكثر من وجوده منفردا وإحساسـه بالعزلة، وبهذا قد سبق الجاحـظ الفيلسوف هنري برغسون عند وضعه قوانين الضحك في نظريته الفلسفية ،التي سوف نسلط عليها الضوء لاحقا في الفصل الثالث.

01- -د/عبد الكريم أليافي – دراسات ت فنية في الأدب العربي-مكتبة لبنان طبعة الأولي 1992 ص/60

خصائص فن الضحك عند الجاحظ:

01التصوير الكاركاتوري :

أوتي الجاحظ ملكة التصوير الرائع ، فكان فنانا مبدعا وبارعا في تصويـر كل صغيرة وكبيرة ، فيعتبر كتاب البخلاء ورسالة التربيع و التدوير من أحسن الصو ر الكاريكاتورية التي صور فيهما الجاحظ الشخصية العربية تصويرا رائعا حيث وصف ، كل صغيرة وكبيـرة في شخصية البخيل ،فلم تفته كل شاردة أو واردة إلى تنويه بما يكتنف هذه الشخصية من صفات ومميزات غير مألوفة وغير مقبولة اجتماعيا، فقد صورها بكل ما تحمله من عيوب مظهريـــة وخلقيـة ، لعل الجاحـــظ قد أدرك أن التصويـر الكاريكاتوري هو الطريقة المثلى ،و الأسلوب الوحيـد للبلوغ إلى ردع كل السلوكيـــات السيئة،و الأخلاق المنحرفة إلى طريق السوي،ورد كل شخصيـــة غير سويـــة إراديا إلى حظيـرة المجتمع.

02-التصوير النفسي:

أشتهر الجاحظ بهذا التصوير في أدبه الساخر ، وهذا التصوير يتجه مباشر الى الحالات الباطنية للفرد وأثرها في المجتمع ,وهو التصوير الدقيق لحركات واقوال الفرد التي تكون مرآة عاكسة عن مايدور في النفس وأعماقها "ويتطلب هذا التصوير مقدرة فنية نادرة لأنطواء النفس وحتي تتضح المعلومات المستعصية دون أن يفطنأكثر الناس لدلالتها وتتألفمن مجموع الخصائص و السمات التي تبين نمطا من الناس ، محددا كل التحديد لايشبه بغيره..."(1)

فقد كان الجاحظ خبيرا بطبائع النفوس ، وهذا راجع الى معاشرته لمختلف طبقات المجتمع ، فكـان فقيرا يعيش مع العوام كما كانت له علاقات مع الخواص (الملوك) ، مِما تكوَّن لديه معرفة واسعة بهذه النفوس وماتنطوي عليه من أحاسيس مختلفة وصفات غائرة من النفاق و البخل والتملق ألخ.. وكتابه البخلاء لايخلو من القصص المختلفة التي تصور لنا مخابر النفوس ، وتعكس لنا أعماقها في لغة جميلة و بيان ساحر يأخذ بالعقول.

01-د/محمد غنيمي –في نقد التطبيقي و المقارن-القاهرة مطبعة النهضة مصرص/49

03-التصوير القصصي:

وكان ايضا بارعا في التصوير القصصي ، سواء كانت خيالية أو واقعية ، حيث لاننسى أنه كان ذو خيال واسع فهو يجيد القص و نقل المَشاهِد بكل تفاصيلها ، وكأنك تشاهدها من جديد في سحر بياني ولغة سلسة تدهش العقول، مع أنه كما يقال ليس المعاين كالسامع أو القارئ، حيث اعترف الجاحظ بنفسه على ذلك في هذه القصة التي اوردها في كتابه البخلاء:

"ولم أ مثل ابي جعفر الطرطوسي : زار قوما فأكرموه وطيَّبوه ، وجعلوا في شاربه وسَبلَته غَالِيةٍ(1) فحَكَّتْه شَفَتُه العُليا، فأدخل اصبعه فحكَّها من باطن الشفة ، مخافة أن تأخذ إصبعه من الغالية شيئا ، إذا حكها من الفوق!وهذا وشِبْهُهُ إنما يطيب جدًّا إذا رأيت الحكاية بعينك ، لأن الكتاب لايصور لك كل شيء ، ولايأتي لك على كُنهه ، وعلى حدوده و حقائقه. "(2).

فرغم اعتراف الجاحظ بنقصه وعدم مقدرته الكاملة في تصوير هذه القصة ، فإنه كان بارعا في التصوير الحسي ، من خلال حركات ابي جعفر الطرطوسي،فقد نقل الينا الجاحظ صورة حسية حية محاولا أن يجسد هذه الصورة تجسيدا واقعياو محسوسا.

وهنا صور قصصية عدة امتلئت بها كتب الجاحظ وبصفة خاصة كتاب البخلاء الذي صورلنا قصص ساخرة ،يهدف من ورائها الى تصحيح بعض السلوكات الناقصة والاخلاق السيئة .مثل : البخل الذي جعله صفة وراثية ، موجود في الاباء و الابناء .

01- -الغالية نوع من الطِب.

02- الجاحظ كتاب البخلاء وضع محمد عبد الكريم النمري- الطبعة الثانية 2005 بيروت لبنان ص/39.

بواعث الضحك:

01- التناقض و التضاد:

هذا يتجلي تحديدا عندما يتحدث الجاحظ حول البخلاء و رسائلهم و إعجابهم و كيف يلوون الحقائــق ويغيرون المعاني :

" فيسمون البخل إصلاحا و الشح اقتصادا، و لما أصبحوا مولعين بالمنع، ونسبوا سلوكهم هذا إلي الحزم وكيف وصفوا الكرم بالتضييع، و الجود بالإسراف, والأثرة بالجهل .....،بل كيف يدعو إلى السعادة من خص نفسه بالشقـــوة، فكيف ينتحل نصيحة العامة من بدأ بغش الخاصة "(1)

فيرى في سلوكهم تناقضا وازدواجية ظاهرين للعيان، التي من شأنها أن تثير السخرية و الضحك من مفارقاتهم وتنقضاتهم للمألوف و المعروف بين عامة المجتمع ومخالفا لأعرافه وأخلاقه.

هكذا يكون البخل في نظر الجاحظ من أبرز سلوكيــات البشر اشتمالا على التناقض في المعنــى والازدواجية في السلوك، فالبخيل يظن أنه يتجه ببخله نحو السعادة، سعادة الجمع والكنز، في حين لايحظى في النهاية سوى الشقوة ، شقوة الحرمان ، وذل ألامتلاك الذي لا ينفع صاحبه ، وعلى سبيل المثال نذكر إحدى نوادره الرائعة، فقد جاء في كتابه البخلاء مايلي:

روي الجاحظ وقال: دخلت مبكرا الجامــع يوم الجمعة، فقعدت، فرأيت على رجل لحية لم أرى أكبــر منها وإذا هو يقول لأخر: وما السنة؟ قال: حب أبي بكر بن عثمان، وعثمان الفاروق، وعمر الصديق وعلي بن أبي سفيان،ومعاوية بن أبي شيبان. قال: ومن معاوية بن أبي شيبان؟ قال: رجل صالح من حملة العرش وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم، وختنه على ابنته عائشة"(2)

فهذه القصة تثير في سامعيها التعجب من هذا الخلط والتناقض بين ماهو مدرك ومعقول سالفا وبين مايقوله هذا الشخص مع الحقيقة ، أي بين الصورة الذهنية التي يحملها الفرد المسلم عن أصحاب الرسول(ص). ومايسمعه من حوارا متانقضا مع الصورةالحقيقية ، أي ظهور اختلال بين العقل ومايأتي به الواقع.

01- الجاحظ كتاب البخلاء وضع محمد عبد الكريم النمري- الطبعة الثانية 2005 بيروت لبنان ص/07.
02- ابن الجوزي-أخبار الحمقي و المغفلين المكتب التجاري بيروت ص178

واستنادا إلى المبدأ ذاته يتناول الجاحظ النادرة التالية التي تستند على عالم المتناقضات الذي يشتمل على التناقض و الازدواجية بين عالم الحقيقة و المزيف ، بين الواقع الحقيقـــي و الواقع المقلوب. وهذه القصة مروية في كتاب البخلاء ، نقلها الدكتور / عبد الكريم اليافي إلى كتابــه دراســـــات فنية في الأدب العربي وهي:

وهي قصة ذكرها الجاحظ حين حدث بحديث والي كان بفارس يدعى"خو مهرويه"، فقـــال: بينا هو في مجلس، وهو مشغول بحسابه وأمره، وقد أحتجب بجهده ، إذ نجم شاعر من بين يديـــه فأنشده شعرا مدحه فيه،وقرظه ومجده، فلما فرغ قال: قد أحسنت .ثم أقبل على كاتبه فقال: أعطه عشرة ألاف درهم.ففرح الشاعر فرحا قد يستطار منه .فلما رأى حاله قال "وإني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموقع ! اجعلها عشرين ألف درهم. فكاد الشاعر يخرج من جلده .فلما رأى فرحه قد أضعف قال: وإن فرحك ليتضاعف على قدر تضاعف القول ! أعطه يا فلان أربعين ألفا، فكاد الفرح يقتله.فلما رجعت إليه نفسه قال: أنت-جعلت فداك-رجل كريم، وأنا اعلم أنك كلمـــا رايتني قد ازددت فرحا زدتني في الجائزة، وقبول هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر. ثم دعا له وخرج.
قال: فأقبل عليه كاتبه فقال: سبحان الله ! هذا كان يرضى منك بأربعين درهما ، تأمر له بأربعيـــن ألف درهم! قال : ويلك ! وتريد أن تعطيه شيئا؟ !قال: أومن إنفاذ أمرك بد؟ قال: يا أحمـــق ! إنما هذا رجل سرنا بكلام ، وسررناه بكلام. وهو حين زعم أني أحســن من القمــر، وأشد من الأسد،وأن لساني أقطع من السيف ، وأن أمري أنفذ من السنان ، جعــل في يدي من هذا شيئــا أرجع به إلى بيتي ؟ ألسنا نعلم أنه قد كذب ؟ ولكنه سرنا حين كذب لنا ، فنحن أيضا نســـره بالقول و نأمر له بالجوائز، وإن كان كذبا ، فيكون- والحـــال هذه- كذب بكذب، وقول بقـــول أما أن يكون كذب بصدق وقول بفعل ، فهذا هو الخسران المبيـــن الذي ماسمعت به ! » 01

01- -عبد الكريم أليافي – دراسات ت فنية في الأدب العربي-مكتبة لبنان طبعة الأولي 1992 ص/60

02- الجهل و الغفلة:

إن الجهل و الغفلة يسيران ضد المنطق وواقع الحياة لايعرفان من أمرهما شيئا ، ولا يفرقـــان بين الضار و النافع، وقد يفعل أحدها الشيء يعتقد أنه خير ، وذلك مايغري بالتهكم و يدفع إلى السخرية إذ :" الشخصية تكون مضحكة على قدر ماتجهل نفسها" كما قال برغسون في كتابه الضحك،وكما جاء محاورات سقراط التهكمية ، حيث أرجع الدافع الأساسي للضحك هو الجهل ذات بذاتها أو عدم معرفة الإنسان بنفسه.

وقد جاء في رسالة الجاحظ في المعلمين هذه القصة التي تبين جهل وحماقة أحد المعلمين الذين كتب عنهم الكثير من النوادر، ثم حاول أن يتراجع عن إصدار كتابه لولا هذه القصة وهي: قال:

" دخلت يوما، مدينة، فوجدت معلما في هيئة حسنة ، فسلمت عليه، فرد علي أحسن رد ، ورحب بي فجلست عنده، وباحثته في القرآن، فإذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه و النحو وعلم المعقـــول ,أشعار العرب ، فإذ اهو كامل الآداب ، فقلت:هذ واللهم ما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب".(1)

قال الجاحظ: فكنت أختلف إليه, وأزوره، فجئت يوما لزيارته فإذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل: مات له ميت، فحزن عليه ،وجلس في بيته لعزاء.

فذهبت إلى بيته، وطرقت الباب، فخرجت إلي جاريـــة وقالت:ما تريد قلت سيدك ، فدخلت ،وخرجت وقالت :باسم الله ! فدخلت إليه، وإذا به جالس، فقلت عظم الله أجرك !لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ! كل نفس ذائقة الموت، فعليك بالصبر. ثم قلت له هذا الذي توفـــى ولدك ؟ قال : لا قلت فوالدك؟ قال: لا. فقلت: فأخوك قال: لا. فقلت : فزوجتك قال:لا. فقلت : وما هو منك؟ قال حبيبتي. فقلت في نفسي: هذا أول المناحس ! فقلت : سبحان الله ! النساء كثير وستجد غيرها. قال : أتظن أني رأيتها؟ قلت : وهذه منحسة ثانية ! ثم قلت :وكيف عشقت من لم ترى؟ فقال أعلم أني كنت جالسا في هذا المكان، وأنا أنظر من الطاق، إذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول:

يأم عمرو، جازك الله مكرمة ۞ رد علي فؤادي أينما كان

لا تأخذين فؤادي تلعبين به ۞ فكيف يلعب بالإنسان إنسانا ؟

01-عبد الحليم محمد حسين – السخرية في أدب الجاحظ –دار الجماهرية للنشر و التوزيع و الاعلان ليبيا طبعة 1987ص/115

فقلت في نفسي: لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر، فعشقها فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهويقول:

إذا ذهب الحمار بأم عمر 🏛 فلا رجعت ولا رجع الحمار.

فقلت أناه ماتت ، فحزنت عليها ، ,أغلقت المكتب و جلست في الدار.فقلت : يا هذا ! إني قد ألفت كتابا في نوادركم – يامعشر المعلمين- وكنت- حين صاحبتك عزمت علي تقطيعه،والآن قويت عزمي على إبقائه، وأول ماأبدأ،أبدأ بك إن شاءا لله تعالى"(1)

أن الجهل و الحماقة و الغفلة هي من الأخلاق الرديئة الباعثة على السخرية و الضحك، حيث كل من يتصف بهذه الأخلاق يكون عرضة للسخرية و الاستهزاء، لأنه يكون قد ٱقحم نفسه في دائرة الجمود و الصلابة، فلم يتميز سلوكه بالمرونة، بل تبين أنه جاهل كل الجهل بنفسه و أنه بعيدا عن شعوره بالحياة المستمرة التي تتطلب أن تسري فها روح اليقظة ، و بالتالي ينشأ الضحك الذي يحاول أن يرد الشخص إلى دائرة الحياة .

03-المغالطة و المفارقة:

استند الجاحظ في فنه الأدبي الساخر بجملة من المفارقات و المغالطات، ومن أهم صوروكتاباته القائمة على هذه المفارقات، نجد رسالة" التربيع و التدوير" و هي رسالة كتبها إلى –أحمد بن عبد الوهاب- يسخر فها منه، ويتهكم به ،وهي رسالة تصور هذا الشخص تصويرا كاريكاتوريا رائعا، يسخر منه، مما اتصف به من عيوب خلقية ومظهرية حيث استند علي فكرة الطول و القصر و التربيع و التدوير، فقد صب جما سخرياته، علي تكوينه الجسماني ، فشوه شكله ، وعبث بتفاصيله ،وأبطل هندسته ، فإذا هو كرة،وهو دكان، و هو رحى طحان، وإذا هو مربع مدور.ومما جاء في هذه الرسالة مايلي:

01 – عبد الحليم محمد حسين -السخرية في أدب الجاحظ- دار الجماهرية للنشر و التوزيع و الإعلان ليبيا طبعة 1987ص/117

"كان أ حمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ويدعي أنه فرط الطول،وكان مربعا ونحسه لسعة جفرته ،واستفاضة خاصرته مدورا،وكان جعد الأطراف ،قصير الأصابع،وهو في ذلك يدعي البساطة و الرشاقة،وأنه عتيق الوجه أخمص البطن معتدل القامة تام العظم، وكان طويل الظهر، قصير عظم الفخذ، و هو مع قصر عظم ساقه يدعي أنه طويل الباد ،رفيع العماد، عادي القامة، عظيم الهامة،قد أعطي البسطة في الجسم والسعة في العلم، وكان كبير السن، متقادم الميلاد، وهو يدعي أنه معتدل الشباب حديث الميلاد"(1)

وسطية الضحك وأهمية:

لقد نوه الجاحظ في جل كتاباته بأهمية الضحك في حياة الإنسان، فجعله في درجة لا يمكن ألاستغناء عنه في التكيف مع المواقف و القضايا التي تقف عائقا في استمرارية الحياة ومما يؤكد فضيلة الضحك وأهميته ماجاء في رسالة التربيع و التدوير حيث قال عن الضحك:"دليل على حسن الحال وفراغ البال، وأن الجد لايكون إلا من فضل حاجته،و المزاح لايكون إلا من فضل غنى... وصاحب الجد في بلاء ، و صاحب المزاح في رخاء إلى أن يخرج منه... وإنما تشاغل الناس ليفرغوا، وجدوا ليهزلوا، كما تذللوا ليعزوا ،وكدوا ليستريحوا".(2)

فالجاحظ يؤكد على فضيلة الضحك وأهميته النفسية و الاجتماعية ، فقساوة الحياة وصرامتها من شأنهما ،أن يولدا الملل والتكاسل ثم العزوف عن الدخول في حركية الحياة ،فالمرء لا يستطيع مواصلة الحياة بشكل جدي إلا بعد استمتاعه بشيء من الهزل لكنه يحذرنا من مجاوزة الحدود أو الإفراط في الاستمتاع، و المزاح و الهزل فبقول في نفس الرسالة المذكورة:"وإن كان المزاح صار معيبا، و الهزل صار مذموما، لأن صاحبه لا يكون إلا معرضا لمجاوزة القدر، ومخاصمة الصديق ، فالجد داعية إلى الإفراط، كما أن المزاح داعية إلى مجاوزة القدر".(3)

فالجاحظ لا يرفض المزاح في ذاته، بل يحبذه و يدعو أليه، لكنه يحذر من المبالغة فيه ،لأن كثرة الضحك تؤدي إلى المحظور، فتفسد العلاقات الاجتماعية بين الناس.

01– الجاحظ – كتاب التربيع و التدوير- عني بنشر وتحقيقة- شار بيلات – دمشق سنة1955 ص02
02– الجاحظ – كتاب التربيع و التدوير- عني بنشر وتحقيقة- شار بيلات – دمشق سنة1955 ص68
03-الجاحظ – كتاب التربيع و التدوير- عني بنشر وتحقيقة- شار بيلات – دمشق سنة1955 ص69

وبالتالي يتحول إلى نقمة بعدما كان نعمة، فيصبح مذموما منبوذا من طرف المجتمع، فهناك فرق بين الجد و الهزل، فلكل مقام مقال، فالجد له مقام، و الضحك له مقام آخر، فهو يرى أن " المزاح في موضعه كالجد في موضعه، كما أن المنع في حقه كالبذل في حقه، فقال ولكل شيء موضع وليس شيء يصلح في كل موضع، ولقد قسم الله الخير على المعدلة"(1)

وعموما فان الجاحظ توصل إلى قناعاته الذاتية التي لا تحرم الضحك ، بل تحبذ هذه الظاهرة لأنه لا يمكن لأنسأن أن يستغني عنها بل هي جزء من حياته ، التي تساهم في تعديل مزاجه،من انفعـالات مضرة ومؤلمة إلي شعوره باللذة والاستمتاع .

و من خلال كل ما سبق ذكره حول ماهية الضحك وأهميته، نجده قد قام ببلورة واحدة من أكثر الرؤى العربية عمقا و تبلورا حول موضوع الهزل و إرساء الإرهاصات الأولى حول المفهـوم الضحك، فقد أشاد الأديب الفيلسوف أبو حيان التوحيدي بفكره وغزارة علمه فقال:

" فسبحـان من سخر له البيان وعلمه، وسلم في يديه قصب الرهان وقدمه..... إن جد لم يُسبـق وإن هزل لم يُلحق"(2).

01-الجاحظ – كتاب التربيع و التدوير- عني بنشر وتحقيقة- شار بيلات – دمشق سنة1955 ص/66
02-الدكتور عمر الدقاق -ملامح الشعر العباسي- دار الشرق العربي بيروت لبنان ص/275

مفهوم الضحك لدى ابوحيان التوحيدي :

ولد أبو حيان التوحيدي في بغداد، و كان والده يبيع التمر أو نوعا منه ُيعرف بالتوحيـــد فعرف بالتوحيدي.ومن الباحثين من يعزو نسبته إلى المعتزلة الذين يسمون أنفسهم بآهل العدل و التوحيد. فقد تتلمذ على أستاذه الجاحظ، فتأثر بفكره وأدبه وأسلوبه في التأليف، ومن أهم كتبه التي تجلى فيها فن السخرية و الهزأ،نجد كتابه" الإمتاع و المؤانسة"وكتاب " مثالب الوزرين"فالأول هو عبارة عن جلسات تناول فيها مع أحد الوزراء في عهده كل أنواع العلم و المعرفة و كانت هذه الجلسات الفكرية قائمة على الحوار و الجدل تتخللها بعض النوادر و الفكاهات التي كان يطلبها الوزير، وأدرك أبو حيان أهميتها في الترويح عن النفس و تلطيف العلاقاتالإنسانية.

فكان الوزير يطلب من أبو حيان التوحيد ي في نهاية كل مجلسه أن يلقـي على مسامعهم نـادرة لطيفة، أو حديثا طريفا.ولقد سمي ابوحيان التوحيدي أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء، نظرا لأسلوبه العقلي في في تفسير وتحليل الموضوعات الإسلامية و الثقافية و العلمية.

و أشتهر بنزعته التشاؤمية في الحياة، فكان ميال إلى الجد منه إلى الهزل ولعل هذا راجع إلى الظروف التي مر بها من قلة العيش وفقر واحتياج. ولكن مع كل هذا كان التوحيدي له علاقة بالفكاهـــة و الضحك، ومما لاشك في أن النفس المعذبة كثيرا ما تلتمس في الهزل ترويحـا عن النفس، فلم تكن الفكاهة عنده سوى التنفيس عن آلام الذات، ولا تكون عنده سوى وسيـــلة للتهرب من الواقـع.(1) وعموما كانت الفكاهة تعبيرا صادقا عن نفسية التوحيدي، وتعويضا عن أحواله الشخصية حيث جل نوادره حول النساء و الأطفال، فهو لم يتزوج ولم ينجب أطفال.

01-الدكتور زكريا إبراهيم- أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء- المؤسسة المصرية العامة ص/248

ما هي حقيقة الضحك:

جاء في كتاب المقابسات ، حيث سال أبو الحيان أستاذه أبا سليمان عن حقيقة الضحك وأسبابه مايلي:

سألت أبا سليمان عن الضحك : ماهو ؟

فأملى فقال :

" الضحك قوة ناشئة بين قوتي النطق و الحيوانية، وذلك أنه حال للنفس باستطراف وارد عليها. وهذا المعني متعلق بالنطق من جهة، وذلك الاستطراف إنما هو التعجب، و التعجب هو طلب السبب و العلة للأمر الوارد، ومن جهة تتبع القوة الحيوانية عندما تنبعث من النفس، فإنها إما أن تتحرك إلى داخل ، وإما إلى خارج.فأما أن يكون دفعة فيحدث منها الغضب, إما أولا و أولا باعتدال فيحدث السرور و الفرح. فأما أن تتحرك من خارج إلى الداخل دفعة فيحدث منها الخوف، وإما أولا فأولا فيحدث منها الاستهزال وإما أن تتجاذب مرة إلى داخل ، و مرة إلى خارج ، فيحدث منها أحوال أحدثها الضحك عند تجاذب القوتين في طلب السبب ، فيحكم مرة أنه كذا و مرة أنه ليس كذا، ويسرى في ذلك الروح حتى ينتهي إلى الغضب فتحرك الحركتين المتضادتين، وتعرض منه القهقهة في الوجه لكثرة الحواس، ويعلو الغضب واحد واحد منها".(1)

و الضحك إذن في رأي أبي سليمان ، أو التوحيدي ، قوة تنشأ عن تفاعل القوة الناطقة و القوة الحيوانية، أي عن قوتي العقل و الغريزة ، و الضحك حالة من أحوال النفس تنشأ عندما يرد إليها استطراف، أي شيء طارئ يحدث تعجا معينا، يستثير الرغبة في البحث عن السبب و العلة في هذا الأمر الجديد الذي ورد على النفس و جعلها تتعجب، و التعجب يرتبط بقوة المنطق و النطق أو العقل من الناحية ، و يرتبط بالقوي الغريزية النزوعية أي القوة الحيوانية من ناحية أخرى(2)

01- أبو حيان التوحيدي – المقابسات- بقلم احمد السندوسي الطبعة الأولي مصر ص 274

02–عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/277.

وبعبارة أخرى حين تتجاذب النفس مرة إلى الداخل، ومرة إلى الخارج، أو عندما تحكم مرة بأن الشيء كذا ومرة بأن ليس كذا، فهناك ينتج الضحك عن هاتين الحركتين المتضادتين أوعندما تدرك النفس التناقض و الاختلاف الذي أثار العجب وأدى إلى حركة التجاذب ، ومن هذه الحيرة الخاصة بالتناقض بين ما يوجد في الداخل وما يوجد في الخارج ، من قولها مرة إن سبب العجب هو كذا ، ثم بعد برهة وجيزة تقول :لا إنه كذا ، من هذا كله تضحك النفس ، ثم تسري هذه الحركة في الروح، فتصل إلى الأعصاب ، فتتحرك حركتين متناقضتين ، إلى الانبساط و الانقباض ، فتظهر القهقهة ،وهي الحركة التي تنتقل بين حواس الوجه الكثيرة(1)

وبهذه النظرة الفلسفية حول الضحك لأبي حيان التوحيدي يعتبر من السابقين الأوائل الذين يقولون بأن الضحك نتيجة لأدراك المفاجئ للتناقض بين التصور وماهو موجود في الواقع أي بين الفكرةالموضوع وما لحق بهما من تفكك في العلاقة التي كانت تربطها، فكلما انفكت العلاقة الترابطية بين التصور و الواقع بطريقة فجائية ،أدي هذا إلى التناقض وبالتالي إثارة الضحك في النفس التي كانت في حالة التعجب .

ويعود التوحيدي مرة أخر إلى تفسير ظاهر الضحك ، فنراه يسأل صديقه مسكويه قائلا:

"قد نرى من يضحك من عجب يراه ويسمعه، أو يخطر على قلبه، ثم ينظر إليه ناظر من بعد فيضحك لضحكه من غير أن يكون شركه فيما يضحك من أجله.و ربما أربي ضحك الناظر على ضحك الأول .فما سرى من الضاحك المتعجب إلى الضاحك الثاني؟

قال أبوعلي مسكويه: رحمه الله:

إن النفس الشخصيَّةٌ تتأثر من النفس الشخصيةٍ ضروبا من التأثيرات ، بعضها سريعة ، و بعضها بطيئة ..... فمن تأثيراتها السريعة بعضها في بعض النوم ، و التثاؤب، و كثير من الراحات، فإنه قد أشتهر في الناس أن من نعس أو تناعس عند المستيقظ الذي لا فتور به أنعسه ونومه، وكذلك المتثائب و المتكاسل عن عمل "(1)

01–عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/278.

02–ابو حيان التوحيدي و مسكويه– الهوا مل و الشوامل– نشره احمد أمين و السيد صقر – مطبعة لجنة التأليف والترجمة1951ص247.

إن التوحيدي هنا يشير إلى العدوى الاجتماعية لظاهرة الضحك ، فالضحك خاصية إنسانية سرعنما ما تنتقل من فرد إلى أخر نتيجة قو ة تأثيره على شخصية الفرد،فمثله مثل التأثيرات النفسية الأخرى التي تؤثر في الأفراد مثل : التثاؤب، و النعاس ، وبهذا هو ألآخر قد سبق برغسون الذي وضع قانون عدوى الضحك من فرد الضاحك إلى ألآخرين.

وجاء في نفس الكتاب الهوا مل والشوامل حول الضحك:

" لما صار الناس يضحكون من السُخرة، والمُضحكِ إذا لم يضحك أكثر من ضحكهم منه إذا ضحك؟ وهذا عارض موجود في كل من ألهاك ولم يضحك.

قال أبوعلي مسكويه: إن من شأن المُضحِكِ أن يتطلب أمورا معدولة عن جهاتها،ليستدعى بذلك تعجب السامع وضحِكَهُ.

وإذا لم يضحك هو فإنما يدل من نفسه أنه متماسك،غير مكترث للسبب الذي من شأنه أن يُعجبَ منه و يُضحَكَ، فيتضاد الحال بالسامع حتى يقترن إلى السبب الأول السبب الثاني".(1)

وتعتبر هذه المسألة أكبر دليل على اهتمام أبو حيان التوحيدي بفلسفة الضحك حيث أنه تساءل عن المُضحك الذي لا َيضحك، أي عن الشخص الكوميدي الذي يثير الضحك ولا يتأثر به فالسامع للأمور المضحكة لابد له من التعجب الذي هو طلب السبب حول التناقض الموجود بين الفكرة و الواقع، وبعبارة أخرى الضحك يُستثار فجأة عند إدراك عدم مطابقة التصور بالواقع ،أو عند خروج الفكرة عن المألوف، فهذا الاختلال و التناقض هو سبب الضحك وبهذا يكون التوحيدي هوا لآخر ساهم في بلورة مبدأ التناقض و الاختلال قبل النظريات الفلسفية الحديثة القائلة بهذا المبدأ و التي بنت عليه نظرياتها حول الضحك.

01–أبو حيان التوحيدي و مسكويه– الهوا مل و الشوامل– نشره احمد أمين و السيد صقر – مطبعة لجنة التأليف والترجمة1951ص/289

أهمية الضحك بواعثه:

مما يدل على بلوغ الضحك درجة مهمة وضروريي في حياة البشر عند التوحيدي، جاء على لسانه في كتابه البصائر مايؤكد هذه الدرجة حيث قال:

" إياك أن تعاف سماع هذه الأشياء المضروبة بالهزل الجارية على السخف، فإنك لو أضربت عنها جملة ، لنقص فهمك و تبلد طبعك ، ولا يفتق العقل شيء كتصفح أمور الدنيا و معرفة خيرها وشرها وعلانيتها وسرها، فا جعل الاسترسال بها ذريعة إلى أحماضك و الانبساط بها سلما إلى جدك، فإنك إن لم تذق نفسك فرح الهزل كربها غم الجد".(1)

فالتوحيدي يري أن ألأمور الهزلية هي أمور مرغوبة عند النفس البشرية،حيث تعتبر في نظره مطية مؤقتة إلى الأمور الجدية، فحتى الأشياء السخيفة التي تثير الضحك هي مفيدة في شحذ مدارك العقل وتنشيط طاقاته، فالشخصية حتى تكون سوية وسليمة لابد لها من فترات من الهزل الذي يدفعها إلي مواصلة الحياة الجدية بدون كلل و لا ملل بل بعزيمة و إرادة قوية لخوض غمار الحياة. إذن فقد جعل التوحيدي من الضحك وسيلة لمعرفة الجدية وفهم أمور الحياة، وهنا يبدو أنه سَلك نفس مسلك الجاحظ حين لم يرفض الضحك ولم يذم المزاح بل جعله وسيلة لمواجهة قساوة وصرامة الحياة و صحة النفس ومن ثمة معاودة الحياة من جديد.

والضحك عنده نابعا من إما من التلاعب اللفظي حيث كان برعا في توظيف اللغة لإثارة الضحك وإما من النكتة البارعة و كذا مبدأ التناقض و المفارقة. فهو كان مولعا بالنكات العقلية و النوادر اللفظية .

01-عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/279.

- **النكتة البارعة:و هي التلاعب بالكلمات و الازدواج الخاص في الدلالة.**

, ولعل من ذلك ما رواه أبو حيان من أن شيخا أعرابيا كان يطوف ويسأل الناس، فقال أحدهم: ما اسمك ؟ قال [مانع] و قال للأخر: ما اسمك ؟ قال: [محرز] و قال لا خر ما اسمك؟ قال: [حافظ] فقال الأعرابي: قبحكم الله، ماأظن الأقفال إلا من أسمائكم" ولاشك أنها مفاجأة غير سارة لرجل يلتمس المنح و البذل و العطاء، أن لا يلتقي في طريقه إلا بأهل المنع و الشح و الإغضاء.(1)

- **التلاعب اللفظي:**

مثل: روي ابو حيان أنه لما وصل الى الصاحب ابن عباد ، قال له الوزير : أبو من ؟فقال : ابو حيان .فقال الصاحب: لبلغني أنك تتأدب .فأجاب بقوله: تأدب أهل الزمان.فسأله الصاحب: أ[و حيان ينصرف أو لاينصرف؟ فأجاب بقوله:إن قبله مولانا لا ينصرف !فلما سمع الصاحب هذه إلا جابة تنمر و كأنها لم تعجبه ، و أقبل على واحد إلى جانبه فقال له بالفارسية كلاما سفها في حق التوحيدي .

و السبب في سخط الوزير أنه كان جادا ، في حين أن أبا حيان كان هازلا متفكها.

- **-وهنا كقصة أخري تقوم على عنصر المفارقة وهي:**

قال ابو حيان عن عثمان ن بن رواح من أنه سافر يوما بصحبة رفيق له ، فلما كانا معا قال له الرفيق: امض إلى السوق فاشتري لنا لحما. قال:و الله ما أقدر ! قال: فمضى الرفيق و اشترى اللحم، ثم قال: قم الآن فأثرد .قال: و الله إني لأعجز عن ذلك ! فثرد الرفيق . ثم قال: قم الآن فكل .فقال لقد استحييت من كثرة خلافي عليك ، و لولا ذلك مافعلت !(1)

01- الدكتور زكريا إبراهيم- أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء- المؤسسة المصرية العامة ص/258.
02- ابو حيان التوحيدي – الإمتاع و المؤانسة –الجزء الثالث- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1989الجزائر ص/ 48.

بيد أن التوحيدي لم يمزج الهزل بالجد و الجد بالهزل، على طريقة الجاحظ الذي كان يريد من وراء هذا المزج دفع ملل القارئ وسآمة السامع [إنقاذا للقراء من طريقة العلماء الذين كانت لهم السيطرة في ذلك الحين، و الذين كانت كتاباتهم ثقيلة لكثرة ما فيها من الجد و إظهار العلم] وإنما كان إقباله على الفكاهة جزءا لا يتجزأ من صميم فلسفته التشاؤمية التي كانت تريد إلغاء الواقع، و التنكر له، و السخرية به، فلم يكن فن الضحك عنده سوى مجرد أداة دفاعية اصطنعتها نفسه لمواجهة ما في حياته من شدة وقسوة و حرمان.(1)

فقد كان الضحك عنده مجرد أداة تطهيرية من الهواجس وما ِلحقَ بالنفس من غٍم وكدرٍ نظر ا لما عناه من نوائب الدهر من الفقر و الفشل و الشقاء، وبعبارة أدق كان الضحك عنده الطريق الوحيد للهروب من الواقع المزري، فيسخر منه إشباعا لميله إلى التفوق و نزوعه نحو الاستعلاء.

أسلوب إثارة الضحك عند التوحيدي:

لقد عمد التوحيدي إلى أسلوبين مختلفين في الضحك:

01 -السخرية العنيفة على خصمه والقضاء عليه بإفشاء معاييبه ،حيث اشتهربالتصوي الكاريكاتوري الساخر المتهكم النابع من حقده الشديد و سخطه العرم.

ونجد أمثلة على ذلك في كتابه مثالب الوزرين.مثال:فيما يورده في الصاحب بن عباد قوله:

"أحسب أن عينيه ركبتا من زئبق ، و عنقه بلولب.... ظريف الثني و التلوي، شديد التفكك و التفتل ، كثيرالتعوج والتموج، في شكل المرأة المومسة الفاجرة الماجنة و المخنث الأشمط"(1).

فهذا مثال من أمثلة التصوير الكاركاتوري الساخر الذي يوحي بحقد دفين وحسد كبيرو التجريح و التعريض بهذه الشخصية.

01- الدكتور زكريا إبراهيم- أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء- المؤسسة المصرية العامة للتأليف - ص/250
02- عمر الدقاق – ملامح النثر العباسي- دار الشرق العربي بيروت –شارع سورية بناية درويش-ص/261

02-الضحك العذب الممتع و هو دعابة حلوة و ضحك بريء، ونجذ أمثلة عنه كثيرة في كتابه الإمتاع و المؤانسة مثل:

في الليلة التاسعة وعشرون من جلسات الوزير طلب هذا الأخير ملحة الوداع، أي طرفة أو نادرة ممتعة، فبعد هذه المسامرة التي خصصها حول الطعام فوائده ومضاره ثم ازدرائه لصفة البخل أتي في الأخير بهذه النادرة التي ختم بها المجلس:

قيل لصوفي في جامع المدينة: ما تشتهي؟ قال:مائدة رَوحاء عليها جَفنة رَحاء ، فيها ثريدة صفراء، و قِدْرٍ حمراء بيضاء.

قال الوزير: أبيْتَ الآن ألا تودع إلا بمثل ما تقدم؟ وانصرفت.(1)

فالمعروف عن الصوفي هو الزاهد في الدنيا والابتعاد عن شهواتها من مأكولات وأطعمة لذيذة والسمو بنفسه بتجويعها، وصيامه عن كل الملذات. فله أمثلة كثيرة حول نوادر الطعام و البخل والشراهة و البطنة والجوع.فقد يهزل فيحدثنا عن رجل كان يأكل بالعين و الفم و اليد و الرأس و الرِجل، حتى لو سألته عن اسمه لَما ذكره، ولو طلع عليه ولَدَه الغائب عليه ما عرفه.

يلعب بالخمسة في قصعةِ * لعب أخي الشطرنج بالشاهِ.(2)

فأحوال هذه الشخصية الشرهة التي انغمست في لذاتها ، انطبعت بسلوك ميكانيكي آلي فأصبحت مثلها مثل الآلة لا تلوي علي شيء ،وخرجت عن المألوف، فتحولت إلى موضوع للضحك و السخرية. إن الضحك و السخرية لم تخلو منها كتابات التوحيدي، فهو كان مولع بهذا الفن فظهرفي جل كتاباته بأسلوب رائع ، لكنه لم يشع ذلك لديه شيوعه لدى الجاحظ.فقد كان متأثرا بأستاذه لكن رؤيته للفكاهة و الضحك هي اقل عمقا من أفكار أستاذه.

جفنة روحاء : مائدة واسعة عريضة. ورحاء كذلك.

01- ابو حيان التوحيدي – الإمتاع و المؤانسة –الجزء الثالث- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1989الجزائر ص/ 27.

02- ابو حيان التوحيدي – الإمتاع و المؤانسة –الجزء الثالث- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1989الجزائر ص/92.

الفصل الثالث : مفهوم الضحك عند برغسون.

المقدمة:

من خلال انتقالنا بين محطات الفكر البشري،الذي أولى اهتماما بالضحك كظاهرة إنسانيــة لم نجد مذهبا فكريا أو فلسفيا حاول أن يفلسف ظاهــرة الضحك مثل ما نجده عند برغســون الذي أعطى للضحك صبغة فلسفية ،انطلاقا من وضعه لعدة إشكاليات حول الضحك.

فقد كان برغسون سيفا مسلطا على الحياة المادية نتيجة تطور العلوم الرياضية والميكانيكيــة فجاء ضد هذا التيار المادي الجارف ووضع فلسفة جديدة لإنقاض الفكر الإنساني من وحل المادية، وبهذا اشتهر برغسون بفيلسوف الحياة ، حيث أعطي للحياة دفعة جديدة من خلال فكرة الديمومة ، فجعل الحياة المرنة والشعور المستمر ضد الجمود والتصلب الذي يصيب حركية الحياة وتطورها، فقد تسأل عن معنى الحياة انطلاقا من استفساره عن الضحك باعتباره ضرب من ضروب الحياة الواقعية.

فتسأل عن عمق الشيء المضحك؟ ماذا يوجد من أمر مشترك مثلا:بين تكشيرة المهرج،والتلاعب بالكلام، و المسرح الهزلي،و الكوميديا؟

هل هنــاك سبب مشترك بين هذه الأشكال الواقعية يبعث على الضحك؟

لقد حاول برغسون الإجابة عن هذا السؤال فخصص كتاب منفردا حول الضحك ودلالاته وعالج فيه خصائص الضحك. لكن السؤال الجوهري : هل بحث برغسون عن قيمة جمالية وأخلاقية للضحك؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذا الفصل من خلال استنطاق النصوص البرغسونية، الموجودة بصفة خاصة في كتابه "الضحك ودلالته".

نبذة حول حياة برغسون وفلسفته:

عاش برغسون بين هذا الفترة 1859-1941 من أبوين فرنسيين يهوديين . وكان طالبا ناجحا نال عدةجوائز للمتفوقين، لقد تخصص في بادئ الأمر في الرياضيات و العلوم الطبيعية، ولكن مقدرته علي التحليل سرعان ما وضعته وجها لوجه أمام المشاكل الميتافيزيقية الكامنة وراء كل علم .فاتجه في الوقت ذاته إلي دراسة الفلسفة.(1)

ونتيجة لتفوقه العلمي أصبح أستاذا للفلسفة بكلية " كليرمون-فيران" و "بالكوليج ديفرانس"بباريس فيما بعد وقد وضع فلسفة" للتطور الخلاق" كان لها أثر ملحوظ في الأدب و الفلسفة في سنوات الأولي من القرن العشرين، ولم تكن هذه الفلسفة مجرد نظرية رومانسية تتشبه بعلم الحياة في قولها – بالقوة الحيوية – لتقاوم الأفكار المادية أو الآلية عن تطور الحياة في الطبيعة ، بل كانت كذلك نظرية تأملية بارعة عن العلاقة بين المادة والحياة.(2)

ومن أهم ما يميز فلسفة هنري برغسون هو اهتمامه بالحدس الذي هو عبارة عن حالة عقلية التي ندرك بها الطابع الكيفي للوعي الداخلي و تياره.

ويشبه برغسون الحدس بالفورة الداخلية الخلاقة التي تمكن الكاتب من أن يمزج كل ما جمعه من مواد أولية في وحدة يستحيل عليه أن يؤلفها ما لم يجمع المواد بالمجهود العقلي أولا.(3)

كما تميز برغسون بفكرة الديمومة التي بنا عليها فكرة الحرية، وبالتصرف الديني الذي توصل إليه قبيل نهاية مشواره الفكري, وكان إعلانه لهذا التصور الجديد في كتابه "منبعا الأخلاق والدين".

يمثل برغسون تيارا لعب دورا بارزا في فلسفة الفن هو التيار الحدسي ، وقد فسر هذا التيـــار الفن على أنه معرفة تتعلق بما هو جزئي.

فالتفلسف لايكشف دائما عما هو قائم في الواقع وإنما يصف لنا جزء ضئيلا منه(3) فعنده الحقيقة لا تدرك الا بالحدس الباطني الذي يمثل الديمومة الحقيقية.

01- ول ديورانت قصة الفلسفة ترجمة د/فتح الله محمد المشعشع مكتبة المعارف بيروت – الطبعة السادسة سنة1988.ص/555
02- زكي نجيب محمدو /ترجمة الموسوعة الفلسفية المختصرة –دار القلم بيروت لبنان ص/113-114
03- زكي نجيب محمود /ترجمة الموسوعة الفلسفية المختصرة –دار القلم بيروت لبنان ص115
04- د/فريدة غيوة / اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة-شركة دار الهدى عين مليلة الجزائر 2002ص/34

ويرى برغسون أن هناك حقيقة واحدة علي الأقل ندركها بوضوح بواسطة الحدس ولا يمكن إدراكها بالتحليل على الا طلاق – إنها ذاتنا المستمرة في الزمان، و هذا الزمان الذي ندركه بالحدس الباطني شيء مختلف كل الاختلاف عن الزمان الكمي المنقسم الذي يقدمه لنا العلم.

إنه سيال متجدد أو هو ديمومة ، فعلى هذا النحو ينظر أيضا برغسون إلى الخبرة الفنية ، فيري أنها بدورها تعتمد على الحدس بكيفيات الأ شياء وعلى هذا الأساس ينفرد الفنان بطريقة للرؤية يدرك بها ماهو فريد في الأشياء وهو يستطيع بعد ذلك أن يلفت نظر الغير إليها عن طريق إنتاجه الفني. (1)

فقد فرق برغسون بين منهجان لمعرفة الاشياء،الاول عقلي وهو يعتمد على وصف الاشياء وتحليلها. و الثاني معرفة الاشياء عن طريق الحدس ، الذي ندرك به حقائق الشعور الباطنـــي ، لا تهدف الى منفعة، بل تتجه نحو المطلق ، و الفن عنده مرتبط بالحدس ، أي الشعور المباشر للموضوع المدرك .

فقد تحدث برغسون عن الفن ، إلا أنه لم يخصص له كتابا خاصا ما عدى كتاب الضحـك ودلالتـه الذي هو عبارة عن ثلاث مقالات تناولت دراسة الضحك وخصائصه.

ولاننسى أن في نظرته للضحك كان متاثرا بشوبنهاور ، حيث اتفقا على ان المُضحك ناتج من التناقض في المعنى.(2)

وعموما يعتبر برغسون أول الفلاسفة الذين تناولوا تحليل فلسفة الضحك ومحـاولة الوصـول إلى أساليب صُنع المُضحك و معرفة غاية المجتمع من الضحك .وفي هذا البحث بالذات ظهر تدخل القوي العقلية و المنطقية التي لم يكن يحسب حسابهـــا في الفنون على الإطلاق.وذلك لأنه عدّ الكوميديا الفن الوحيد الذي يتدخل فيه العقل ويغيب فيه فعل الحدس بحيث تصدق هنا عبارة من قال:" إن العالم كوميديا لهؤلاء الذين يفكرون وتراجيديا لهؤلاء الذين يحسون"(3)

أي أن الضحك عنده مرتبط بالعقل المحض. فلا يضحك الفرد المُنفعِل، المتأثر بموقف من المواقف بل الضحك و العقل سيان ، الانسان العاقل هو الذي يضحك من غيره لجمودٍ في طبعه أو كلامه أو شكله.

01 د / أ/ميرة حلمي مطر فلسفة الجمال أعلامها و مذهبها – دار القباء للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة سنة1998ص/190

02 Que sais-je ?BERGSON par jean louis vieillard-bardon-edition dalta el metn-libon2009

03 د / أ/ميرة حلمي مطر مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن الطبعة الاولى 1989 دار المعارف القاهرةص/120

دلالة الضحك و خصائص المضحك:

إن برغسون حاول كغيره من الفلاسفة السابقين البحث عن القوانين التي التحكم ظاهـر ة الضحك باعتبارها ظاهر ة إنسانية اجتماعية ، حيث أهتدي إلي أن حدوث الضحك يتطلب النظرة العقليـــة بدلا من الاهتمام الانفعالي، وقرر أن الضحك تحكمه قوانيـــن هي التكرار و القلب و تداخل الأحداث وقد جاء في مقدمة ترجمة كتاب الضحك للدكتورين/ عبد الله الدايم و سامي الدروبي ميلي:

" لقد بحث برغسون عن القانون الذي يحكم المضحك ويفسر دوافع الضحك فوجده أيضا ،متأثـــرا بفلسفته الشاملة حول الوثبة الحيوية و التطوير الخلاق ، ثاويا في تصلب ما هو حـــي وفي تلبس الحياة بإيهاب الجماد ، فنحن نضحك عنده، عندما نشهد صلابة آلية حيث ينبغي أن توجد مرونة إنسانية يقظة ونضحك من كل تصلب أو جمود في الجسد أو الفكر ونضحك من أوضـــاع الجسم الإنساني وحركاته وإشاراته حين يذكرنا هذا الجسم بمجرد آلة تتحرك أو نابض ينطلق، ونضحك عندما نرى "صورة الشكل تعلو على الجوهر، و النص يماحك الروح"

"لقد حلل الملهـاة و المسخرة وفن المهـرج و النكتة وما سوى ذلك من وسائـل صنع المضحك ، فوجد أن هناك قانونا يجمع بينهما مفسرا ضحكتنا ، ألا وهو أننا نضحك من كل فعل أنسانـــي يوحي إلينا بأنه شيء ، بأنه جماد أو آلة...." (1)

عموما إن فلسفتـــه حول الضحك نابعة من اعتراضه على الحياة الماديـــة التي طغت علـى كل جوانب الحياة، بالتالي أصبحت هذه الحياة عُرضة للضحك نظرا لما حّل بها من جمـــود وتصلب

01- هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي الدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة للكتاب النص في المقدمة الكتاب

ينطلق برغسون في بحثه عن الضحك وخصائصه من ثلاث صفات أساسية تتعلق به :

01-إنه نساني:

أنه لا مُضحِك إلا فيما هو إنساني ، ولأن المنظر الذي يجسد موقفا من المواقف قد يكون جميلا لطيفا رائعا، وقد يكون تافها مخزيا قبيحا، ولكنه لا يكون مضحكا أبدا، فإذا ضحكنا من الحيوان فلأننا لقينا فيه وضعا إنسانيا، أو تعبيرا عن وضع إنساني. وقد نضحك من قبعة ولكن الذي يضحكنا فيها آنئذ ليس القبعة ذاتها،أو قطعة الجوز أو القش فيها ، وإنما الشكل الذي فصلها عليه الإنسان، و الوضع الذي يكون عليه وهو يرتديها، و النزوة الإنسانية التي اكتست هذه القطعة قالبها.

وإلي هذه الحقيقة البسيطة انتبه الفلاسفة قديما ، فعرف كثير منهم الإنسان بأنه "حيـــوان ضاحك "،ويزيد برغسون بأنه " حيوان مُضحك"، وما ذلك إلا لأن الضحك خاصة إنسانية وعرضه اللازم دون سواه. ولئن أستطاع حيوان آخر أو جماد أن يضحكنا، فما ذلك إلا للشبه فيه بالإنسان، أو للطابع الذي يضفيه عليه الإنسان ويقرنه به ،و الغرض الذي يستعمله فيه و يسقطه عليه .(1)

وهذا يذكرنا بما درج عليه أدبنا العربي القديم الذي تروي بعض كتبه نوادر ونكت ومُلح أبطالهـــا حيوانات. ولا شك أن أمثال هذه النوادر الخاصة بالعجموات لا تثير فينا الضحك بذاتها ، وإنما تثيره بما يوحيه حالها ووضعها بحال ووضع شبيه بحال الإنسان ووضعه كما روي أنه قيل للبغل من أبوك؟ فقال: الفرس خالي ! ، دلالة علي حال الإنسان الذي يحاول إخفاء أصل وضيع يرى أنّه يُخفضه ولا يُشرفه ،و الانتساب- بغير وجه حق –إلي مايزيده نُبلا ورفعة و شَرفا ! ، وهذه كلها أمور واعتبارات إنسانية محضة ، لاعلاقة لها بالحيوانات أو العجموات ،بغالا كانت ، أم عجالاً ، أم علوجاً.(2)

01- هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي الدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ص/16

02-د/ عبدا لحميد خطاب- كتاب الضحك بين الدلالة السيكولوجية والدلالة الاستيطيقية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2006ص/41

إذن الشرط الأول لحدوث الضحك أو الصفة الأولي للضحك، أنه يحدث من إنسان على إنسان أو على شيء أو كائن آخر يأخذ في مظهره أومسلكه طبائع الإنسان وصفاته،فالحيوانات أو الموضوعـــات الجامدة، تصبح مُضحكة فقط بالقدر الذي تُذكرنا عنده بشيء إنساني.

02- إنه عقلي:

لأن الضاحك يكون في حالة نفسية تغيب فيها الانفعالات الضارة و التأثيرات المهيبة ، إذ لا يمكن للمُضحك أن يحدث هزته إلا إذا سقط على صفحة نفس هادئة تمام الهدوء ،ُمنبسطة تمام الانبساط ، قريبة من اللامبالاة، كل شيء فيها ساكن هادئ إلا العقل ألدارك للمفارقات. فاللامبالاة وسط طبيعي للضحك,وألد أعدائه التأثر و الانفعال،فالنفوس المتأثرة أبدا ، المتصلة بأوتار الحياة، فتهتز للحوادث رنينا عاطفيا ،فإن مثل هذه النفوس لن تعرف الضحك و لن تفهمه.(1)

فهو يرى أن الضحك لا يكون إلا بغياب الانفعال ولكي يحدث الضحك لابد أن يتوقف القلب برهة عن الشعور ، فمجتمع العقول لايبكي و إنما يضحك أي أن الضحك لايتجه إلى القلب وإنما يخاطب العقل. وفي هذا يقول برغسون مخاطبا قارئه:" صوّر لي عيبا ما ، وليكن يسيرا ماشئت فإنك متى عرضته عليَّ عرضا يثير عطفي ، أو خوفي ، أو شفقتي فقد انتهى الأمر ولن أستطيع أ ن أضحك منه"

ويضيف قائلا: "أما إذا انتخبت عيبا ما، وليكن خطيرا، بل كريها، واستطعت بوسائل ملائمة أن تجعلني لا أتأثر له، فإنك تستطيع أن تجعلهُ مضحكا. ولا أزعم أن هذا العيب يغدو مُضحكا ، بل أقول إن من الممكن أن يغدو كذلك (و بالتالي) فأن تجعلني لا أنفعل فذلك هو الشرط الضروري الوحيد للضحك وإن لم يكن كافيا حتما. (2)

فهو يؤكد أن النفس المنفعلة و المتألمة لا تضحك لأنها متصلة بحركية الحياة وُمستشعرة بكل ما يدور

01-هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي الدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/17
02-د/ عبدا لحميد خطاب- كتاب الضحك بين الدلالة السيكولوجية والدلالة الاستيطيقية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2006ص/42.

حولها، فغياب العقل و حضور القلب لا يثير الضحك وبالتالي شكلت العاطفة عائقا في نظر برغسون لحدوث الضحك .

02-إنه اجتماعي:

لأن الضاحك لا يتذوق المضحك في حالة شعور بالعزلة، ذلك أن الضاحك في حاجة إلى صدى فكأن البيئة و المحيط و النمط الجماعي، كل ذلك مبعث عدوى و مصدر إيحاء للإضحاك، فضحكنا هو أبدا ضحك جماعة.

وفي هذا يقول برغسون مخاطبا قارئه، كالعادة ، مستندا إلي ضرب ألأمثلة:"لعله اتفق لك أن كنت في قطار أو مطعم، فسمعت الناس يتبادلون حكايات أضحكتهم، لابد أنها كانت مُضحكة لهم مادامت أضحكتهم، ولكنك لست منهم، فما تشعر بحاجة إلي الضحك".

وهذا يعني أن الضحك مهما نفترضه صريحا إنما يخفي وراءه تفاهما وعدوى من الآخرين ولطالما قيل إن ضحك المشاهد في المسرح يكون أشد كلما كانت القاعة بالناس أغص.

ومن هنا يكون الضحك فضلا عن دلالته علي التفاهم – ذا دلالة أيضا، علي التآمر مع ضاحكين آخرين حقيقيين أو خياليين، يزداد ويشتد، أو يخفت وينقص بمقدار طبيعة هذا المحيط المغلف لموقف المضحك.(1)

فهو يقرر أن العقل الضاحك لا يمكن أن يضحك وحده ، بل لابد له من عقول تشاركه وتتجاوبه حتى يتأثر بالشيء المضحك فيضحك ، ويقول في هذا الصدد :" ينبغي للعقل أن يكون علي صلة بعقول أخرى، وهذه هي النقطة التي أردنا أن نلفت إليها النظر، فنحن لا نتذوق المضحك في حالة شعورنا بالعزلة ، و الضحك في حاجة إلي صدى.(2)

01--د/ عبدا لحميد خطاب- كتاب الضحك بين الدلالة السيكولوجية والدلالة الاستيطيقية- ديوان المطبوعات الجامعية 2006ص /4
02-هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي الدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/17

وهذا مارأيناه عند الجاحظ في قصة "محفوظ النقاش"أن الضحك هو ضحـك الجماعـة أي أنه لا يتمظهر إلا في وسط جماعة من الأفراد .

الأمرالذي أكده برغسون في كتابه الضحك:"إن المُضحك ينشأ في أناس مجتمعين،يتجهون بانتباههم إلي واحد منهم ،بعد أن أخرصوا عاطفتهم،وتركوا العمل للعقل وحده"(1)

ويسير استدلال برغسون المنطقي فيما يتعلق بالأساس الاجتماعي للضحك على النحو لتالي:" تتطلب الحياة و المجتمع الآن من الفرد كلا من التوتر و المرونة القابلية للتكيف و التنبه أو اليقظة الذهنية، وتضع الحياة معيارا أقل من المعيار الذي يحدده المجتمع ودرجة متوسطة أو معتدلة من القابلية للتكيف تمكن المرء من أن يعيش حياته .

أما كيف يعيش بشكل جيد – و هو الهدف الذي يتطلبه المجتمع- فيحتاج إلي قد كبير جدا من المرونة ، ويتشكك المجتمع في كل الميول الخاصة التي تسير في اتجاه التصلب و الجمود، ومن أجله ابتكرت المجتمعات تلك العلامة الاجتماعية الخاصة المسماة الضحك كي تخدمه بوصفها أداته التصحيحية الخاصة لكل أنواع الانحرافات المضادة للمجتمع.(2)

إذا الضحك ينشأ من خلال التفاعل الاجتماعي حيث يشكل دورا أساسيا في تصحيح العيوب الاجتماعية الناتجة عن التصلب و الجمود الذي يُلبس الحياة، بطريقة غير مباشرة و فاعلة،بحيث لا يُسبب ألمًا ولاضرًا.

01--هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص//19

01–عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/111.

محاور الضحك عند برغسون:

كان لبرغسون إسهاما كبيرا في دراسة فنون الفكاهة و الضحك ،فجمع بين السلوك الإنساني وحركاته الجسدية والروحية إذ وصف الناس المضحكين وشبههم بلُعب تُحَرك بأسلاك سواء في أوضاع الجسم وحركاته، وفي أوضاع الكلمات ومدلولاتها وارتباطها فيما بينها، أو طبائع الإنسان الخالية من الحياة و المجتمع يضحك من هذه اللُعب الإنسانية لأنها ابتعدت عن مرونة ومنطق الحياة، وألبست بلباس الجمود و الصلابة.

01- مضحك الأشكال ومضحك الحركات:

يبدأ برغسون في هذا المحور من أوضاع الجسم الإنساني و أشاراته وحركاته ، التي تكون مضحكة علي قدر مايذكرنا هذا الجسم بمجرد آلة ن وهما لاشك فيه أن للعين دورا كبيرا في حياة الإنسان لأنها من أهم وسائل نقل المعرفة إلي العقل وهي فضلا عن ذلك من أنجع الحواس التي يعول عليها الفكه في طرحه ،وساخر في لدغاته وهما يستغلان وظيفتها للتحقيق بالأشياء واستبطانها ومن ثمة لإعادة خلقها بمعادلة جديدة طريفة لا يبدو فيها اثر الاستبطان مع الفكاهة بينما يبقي أكثر انكشافا مع السخرية وهنا التساؤل:

ما هي الهيئات و الأشكال التي تتوقف عليها عين الفكه الساخر ؟

حسب برغسون فإن كل الأشكال مجسمة في إنسان أو حيوان أو شيء ليست مدعاة للتفكه أو السخرية بنفسها بل بقدر ماترتبط بنظرة مشاهدها، فمسألة استخراج العنصر المضحك نسبية تتفاوت بين شخصين وأخر تفاوتا طفيفا وهذا لأن أفراد المجتمع عادة يلتقون علي مقاييس عامة للجمال و القبح يحددها الذوق الاجتماعي العام وحيث أن عامة الناس لا يستطعون تقدير الحسن على القبح الخفي واستنكار البشاعة بسهولة فإن للمضحك الساخردورا كبيرا في عملية التدليل على النقص و التشوه الذي لا يستطيع الناس العاديون التقاطه .

يرى برغسون أن الهيئات و الأشكال تصبح منبعا للفكاهة بقدر ما تذكرنا بهيئات وأشكال أخرى أكثر قبحا وغرابة، وبالتالي ظهور التصلب و الآلية اللذان يطغيان على الجانب الروحي في الشخصية أو المجتمع فتشل حركته حتى لنتوهم هنا أن المادة تطغي علي الروح وحركتها، ومن أمثلة ذلك: نضحك من شخص يحاول الجلوس فيسقط حين يُسحب الكرسي من تحته إذ يبدو هنا فاقدا لمرونة الحركة عديم التكيف، وقد نضحك من الذاهل المسترسل في ذهوله إذ يبدو بدوره متصلبا ذا حركة آلية .ومن هنا يعد برغسون الضحك نوعا من أنواع تصلب الكائن الإنساني في حركته ، وعلي هذا الأساس يفسر الكاريكاتوري في صورة أحدب يبدو لرجل تقوس في وقفته.(1)

ومن هنا أكد برغسون أن المضحك ليس فقط الشكل المشوه أو الحركة الفارغة من المعني بل بالإضافة إلى ذلك المضحك هو تشويه قد التبس بالتصلب.

وقد تطرق إلى تفسير معني الكاريكاتير في هذا النص:" أن فن الكاريكاتير يقوم على إلتقاط هذه الحركة غير المرئية أحيانا وجعلها مرئية أمام كل الأعين وذلك بتكبيرها . إنه يجعل نماذجه تكشر كما تكشر بذاتها إن هي سارت في تكشيرها إلي نهايته, وهو يكشف تحت الانسجامات السطحية في الشكل ، حالات العصيان العميق في المادة ، وهو يبرز التنافرات و التشويهات التي وجدت في الطبيعة في حالة اغلكمون، ولكنها لم تسطيع البروز، فكبتت بقوة أفضل .إن فن الكاريكاتور المتسم بنوع من الشيطنة ، يكشف عن الشيطان لذي دفنه الملاك، لاشك أنه فن يبالغ ولكنا نسيء تعريفه عندما نجعل هدفه الوحيد المبالغة، إذ توجد صور كاريكاتورية أكثر أمانة من الصور الحقيقية"(2)

01-د / أ/ميرة حلمي مطر مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن الطبعة الاولى 1989 دار المعارف القاهرة ص/121.
02--هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987 ص/24.

ففن الكاريكاتور فرأيه يقوم على إدراك الحركة التي قد لا تدرك ، فيضخمها و يجعلها مرئية لكل الناس إنه يشوه نماذجه على نحو ماكان يمكن أن تتشوه من تلقاء نفسها ، وبالتالي يرسم لنا تنافرا وتشوها موجدين في الطبيعة .

ويري برغسون أن المبالغة في هذا الفن يجب ان تكون هزلية أي ليس المبالغة ف لذاتها بل وسيلة تبرز لنا التشوهات و الالتواءات يرها تستعد و تتهيأ في الطبيعة.

فيركز الكاريكاتور على تشويه كأن يفسد طول الأنف ن أو عرض الفـم أي: ينحط به إلى الآليـــة و الجمود و بالتالي يتوفر العنصر الهزلي في هذه الحالة.

أن برغسون يصل بنا في هذا المحو الى القانون التالي:"كل تشويه يمكن لشخص سوي أن يقلده يمكن أن يكون موضوع هزل".

ولكي يوضح برغسون هذا النوع من المضحك يستدل بجمهرة الرسامين فيعبر قائلا:

"إن المضحك في الرسم متناسب بوجه عام مع مقدار الوضوح ومقدار الخفاء أيضا في تصويـــره الإنسان أراجوزا".(1)

إن الشخص الذي تجمد كل عضو منه في قطعة آلية لايزال مجموعه في نظرنا كائنا حيا ، وعلي قدر ماتكون هاتان الصورتان صورة إنسان وصورة الآلة :أحكم تداخلا أحداهمـــا في الأخرى يكون أثر الهزلي بنوع الحياة التي يبثها في الآلة البسيطة"(2)

فالعنصر الهزلي لايكون إلا بتداخل الصورتين صورة الانسان وصورة الالة التي ينطبع بها ، فتحوله إلى ألة مكانيكية .

01-Bergson le rire67 émé édition paris 1946 page34

02-Bergson le rire67 émé édition paris 1946 page34

فالجانب الفكه يتمثل في التعارض بين الحي و الجامد ،و هو المبدأ العـــام الذي أسس عليه فهو برغسون نظريته في الإضحاك و المضحك فهو القائل :

"الناس لا يستطعون أن يقلدوا من إشاراتنا إلا ماكان منها استخراج الجانب الآلي الذي تركه يتسلل إلي نفسيته".

إن المحاكاة الهزلية هي من ابرز الأشكال التي تعمل علي تبيين الباعث على الضحك في الإشارات و الحركات ، ويستخدم هذا النوع من الضحك المهرجون في المسرح و خارج المسرح وهو تقليـــد للإشارات و الحركات الباعثة على الضحك .

وقد استخلص برغسون فكرة التنكر وجعلها أيضا من بواعث الضحك حيث قال:

" إن رجلا متنكرا يبدو هزليـــا، و الرجل الذي نظنه متنكرا هو هزلي أيضا. و بالتعميـــم نقول أن تنكر سوف يصبح هزليـــا ،وليس فقط تنكر الإنســـان، بل أيضا تنكر المجتمع ، وحتى تنكر الطبيعة." (1)

و المقصود من هذا النص أن حتى الطبيعة تصبح مضحكة إذا ألبست لباسا آلي وهذا على غـرار الإنسان و المجتمع حيث يتحول الإنسان إلي آلة جامدة إذا طغى الجسم على الروح أما المجتمـــع فمثلا: الحفل الذي يُخرج عن أهدافه الجادة، يُصبح المدعوون كأنهم دمى تتحرك. مثلهم مثل لعب الاراجوز نأو كأنهم وبالتالي كل هذه الاشكال تبعث على الضحك.

01- هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987 ص/33.

وخلاصة هذا عند برغسون : أننا نضحك من صورة الجسم المستحيل إلى آلة."(1) وأن كل حادث يلفت انتباهنا إلى الجانب المادي المتحول من الشخص حيث نكون بصدد الجانب الروحي فهو مثير للسخرية والضحك ، والمقصود من هذا أن كلما طغى الجانب المادي للشخص على الجانب الروحي كلما كان الموقف مضحكا .

وقد صاغ برغسون في هذا قانونا: " كل حادث يلفت انتباهنا إلى الجانب المادي من الشخص حيث نكون بصدد الجانب الروحي ، فهو مضحك".(2).

فمثلا : الخطيب البارع الذي يخطب في جمع من الناس خطابا جديا ، ويستشهد بشخصية من التاريخ مشهورة و قوية ويقول: كان هذا الشخص قويا وذكيا وذا بنية نحيفة.

فالانتقال من الروح إلي الجسد ومن الأخلاق إلي البنية العضوية للإنسان تثير الضحك. وهكذا فالاهتمام الدائم بالشكل ،يخلق دائما المضحك.

مع انه ليس دائما الانتقال من الجانب الروحي الى الجانب المادي يثير الضحك في جميع الحالات. فهنا ك حالات مشابهة ولا تبعث على الضحك ، مثل أي خطيب يتحدث عن شخصية قوية أخلاقيا ذات فكرٍ وعلمٍ غزير ، ثم ينتقل الى سبب وفاته ،جراء علل وأمرض أصابت جسمه، فهذا الانتقال من الفكر الى الجسم لا يثير الضحك بل يثير الشفقة و الرحمة.

وينتقل برغسون في هذا المحور الخاص بالمضحك من الأشكال و الحركات إلى الخيال الهزلي

حيث عرفه كما يلي:

01--هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/42
02--هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/42

" و ما الخيال الهزلي ألا قدرة حية ، إنه نبتة خاصة نبتت قوية على الأجزاء الحجيرة من الأرض الاجتماعية ، تنظر أن تتيح لها الثقافة أن تضاهي أرهف مبدعات الفن. ولئن كنا بهذه الأسئلة التي استعرضناها لانزال بعيدين عن الفن الصحيح، وإن لم نبلغه تمام البلوغ. فتحت الفن يوجد التفنن ... وفي هذه المنطقة من التفنن، وهي منطقة وسطية بين الطبيعة و الفن"(1)

وهي المنطقة التي جعلها برغسون نقطة الانطلاق لمحاولة تفسيرالضحك وأشكاله حيث أن الضحك لا ينشأ إلا بتجمد الحياة في الطبيعة و الإنسان.

-01- هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/50

مضحك الظروف و مضحك الكلمات:

يمكن تفسير هذا العنوان بمضحك المواقف أي المواقف التي تبعث على الضحك ، وكذا تداخل جملة من العبارات و الكلمات التي تؤدي إلى الضحك .

ولقد إهتدى برغسون إلى قانون نعرف من خلاله ظروف المهزلة بوجه العموم وهو:

" مضحك كل ترتيب للأفعال و الحوادث يخيل إلينا وجود الحياة من جهة،ويجعلنا نحس إحساسا واضحا بنوع من التركيب الآلي ، من جهة ثانية، على أن تتداخل الصورتان إحداهما في الأخرى".01

يرى برغسون في هذا المحور أن الضحك يكون على المواقف التي تتخذ صفة الآلية و الأوتوماتكية التي تغلب الطبيعة الحية أ ي تلبس الطبيعة بلباس الآلية ومن بين الأمثلة التي جاءت على لسان برغسون نجد هذا المثال الذي استوحاه من الحياة الاجتماعية وهو:

العفريت ذو النابض الذي يخرج من العلبة في كل مرة نعيده الى العلبة . فهذا النوع من التسلية نزاع بين عنادين ـ أحدهما هو الآلي أي (العفريت ذو النابض) و الثاني الذي يعبث به أي الشخص الذي يلعب بهذه الآلة.

ويؤكد برغسون أن هذا النوع من المضحك يظهر أكثر في الملهاة حيث ظهور المواقف و والظروف التي تعبر عن الواقعية وهو القائل: ".....وهل الملهاة إلا لعب، يقلد الحياة....."

وقد أورد مثالا علي ذلك مستخلصا من مسرحية وهو: "...ما أن يظهر الشرطي عل المسرح حتي يتلقى ضربة من عصا تصعقه. ثم ما أن ينتصب ثانية حتى تتلقاه ضربة أخرىفتسطحه، وكلما كرر الذنب تلقى عليه عقابا جديدا، وهو يقع وينهض وفقا لإيقاع رتيب كأنه إيقاع النابض و هو يشتد و يرتخي . وضحك الناس ماينفك أخذ في ازدياد. "(2)

01--هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/54
02- برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/55

ويزيد برغسون وهو يفسر لنا مضحك المواقف في هذا المثال ، حيث أنتقل بنا من الجانب المادي إلى الجانب الروحي ،أي كيف يكون المضحك مرتبطا بموقف الإنسان وهوفي حالة تردد فكري وعناد نفسي حيث امرنا "بتخيل بفكرة تقال فتكظم ثم تعود ، موجة من الكلام تنفجر فتوقف ثم تستأنف. إننا الآن أمام صورة قوة تعند ...إننا أما م ملهاة حقيقية."(1)

فمصدر الضحك هو العناد و التكرار في المواقف المختلفة التي يظهر عليها التصلب والجمود.

فالجانب الفكه في نظر برغسون من خلال نظرته هو التعارض بين الحي و الجامد ، الذي أساس التقليد و المحاكاة ، ففي كل موقف أوظرف ينعدم فيه الانسجام والتناسق يكون باعثا على الضحك .

"...فتقليد شخص هو استخراج الجانب الآلي الذي تركه يتسلل إلى نفسيته وهذا هو بالتعريفما يجعله مضحكا....فلا غرابة أن يكون التقليد باعثا على الضحك"(2)

فإذا كانت من سمات الحياة المرونة والتوازن و الانسجام، وإذا كان كل إنسان يفتقر إلي هذه الصفات من التوازن والانسجام فهو لا محالة يكون عرضة للضحك، ولنضرب مثالا على ذلك الخطيب في تأبينية لآحد الشخصيات المشهورة فبعد أن عدد أعماله الجليلة وقوة مواقفه السياسية أخذ يصف بنيته فقال : كان سمينا.....

ان برغسون من خلال دراسة هذا المحور المتعلق بمضحك الظروف و الكلمات أهتدى إلي أسباب جعلها من بين العناصر التي تبعث علي المضحك وهي:

- **التكرار**
- **القلب**
- **تداخل الأحداث**

وهذه العناصر الثلاثة ناتجة من الآلية التي فسر بها برغسون كل أنواع الضحك التكرار:قال برغسون :"التكرار لا يضحكنا إلا لأنه يرمز إلى لعب نفسي خاص يرمز هو الآخر إلى لعب مادي صرف".

01-هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/55
02--هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/56

ويأتي مثال: الهر الذي يعبث بالفأر، ولعب الطفل الذي يدس العفريت في العلبة ثم يدسه .

ومن بين الماثلة نجد مثال أخر حول تكرار الكلمات:

" فحين يروي دروين لأرجون نبأ مرض زوجته، فيقاطعه هذا باستمرار مستفهما عن صحة تارتوف فإن سؤاله الذي يتكرر دوما:" وتارتوف؟" يجعلنا نحس إحساسا غامضا ينفلت ، وهذا النابض هو ما يعمد دورين إلى دفعه ثانية حين يمضي في كل مرة يستأنف حديثه عن مرض ألمير".(1)

وأن أهم العوامل المضحكة في تكرار الكلمات علي المسرح :" أن ثمة طرفان في تكرار الكلمات الهزلية عامة، عاطفة محبوسة تنفلت كما ينفلت النابض، وفكرة تلهو بحبس هذه العاطفة من جديد.."(2).

وهو القانون الذي توصل إليه برغسون في تحديد سبب ضحك الكلمات . أي أن الضحك نتيجة تكرار الكلمات منة خلال العاطفة المزدوجة أي إظهار الفكرة وفي نفس الوقت محاولة كتم الفكرة.

والأمثلة التي استدل بها برغسون في رأيه هذا كثيرة منها شخصية " تارتوف" و"أرجون" في أخلاق البخل والغباء.

أما مثاله الثاني فقد دار حول" الارجوز ذو الخيوط" وهو أشد المشاهد الهزلية التي ركز عليها برغسون في تحليله وفي تساؤلاته المتنوعة:

فقد أرتبطت عند برغسون فكرة جدية الحياة بالحرية و المرونة .

".....وبصورة عامة كل ما يصدر عنا وماهو حقا خاص بنا، كل ذلك هو ما يكسب الحياة لونها الدرامي أحيانا ،فم االذي يقلب كل ذلك مضحكا؟

يجيب برغسون: هوان تتصور أن وراء الحرية الظاهرة لعبة ذات أسلاك وأننا في هذه الدنيا

01- -هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/56
02--هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/56

كما قال الشاعر: .....لعب متواضع

الضرورة ممسكة بأسلاكها(1)

إذن بين الحرية والجبرية يكون الهزل ، فالحياة القائمة على الحرية تعكس جديتها والحياة الخاضعة إلي الضرورة والحتمية تكون لا معني لها وكثيرا ما تثير الضحك و السخرية. فالتكرار يكون في الكلمات كما يكون في الظروف و المواقف، أي مجموعة من الظروف تعود كما كانت، مواقف متشابهة تعيد نفسها.

مثال على ذلك: أن ألتقي ذات يوم، في الشارع بصديق لم أره منذ زمان طويل ، فليس في هذاالموقف ما يضحك، إلا أنني إذا التقيت بهذا الصديق في اليوم نفسه مرة ثانية ، فثالثة، فرابعة، أخذنا بالضحك لهذا " التواجد".(2)

واعتمد برغسون في تحليله لهذا العنصر علي مسرحيات موليير التي تعرض ملهاة مختلفة متكررة من أولها إلي أخرها.

إن عنصر التكرار سواء ظهر علي مستوي الكلمات والعبارات أو برز في المواقف والظروف المختلفة ، يعتبر عنصرا هاما في توليد الضحك ، ووجد هذا العنصر حتى في الأدب العربي عند الجاحظ في كثير من قصصه الأدبية، وهو موجود حتى في حياتنا اليومية فكثيرا ما نشاهد أماماحوادث تعيد نفسها تثير فينا الضحك ، وحتى حين نسمع كلمات وعبارات متكررة من نفس الشخص تؤدي إلى إثارة الضحك فينا .

أما مبدأ قلب أو عكس الأدوار فلا يمكن تصور قصص الأدب العالمي القديم والحديث من هذا العنصر الهام في إثارة الضحك، وهو العنصر الذي وظفه برغسون في فلسفة الضحك وهو العنصر الذي سنحاول تسليط الضوء عليه فما يلي.

01-هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص66
02--هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/60

القلب:

فإلى جانب التكـــراراستعمل برغسون عامل جديدا الذي يبعث على الضحك ذات صلة بالكلمـــــات والتراكيب هو القلب أي قلب الأدوار أو عكسها، وهو متعلق بالمسرح و الحياة اليومية.

فإذا تخيلنا بعض الشخصيات في موقف من المواقف العادية ، ثم جعلنا من الموقف العادي هذا موقفا منقلبا ، بحيث تنعكس فيه الأدوار العاديـــة المألوفة المتوقعة في الموقف ،إلى أدوار معكوســـة غير متوقعة وغير مألوفة فيه ' حينئذ نحصل على موقف هزلي.

وعلى هذا الأساس يضحكنا المتهم الذي يُحدث القاضي في الأخلاق ، و الطفل الذي يرشـــد والديـــه ناصحا مربيا، و التلميذ الذي يلقي دروسا علي شيوخه وأساتذته مبينا ومعلما ، وكل ما إلى ذلك مما يندرج تحت عنوان العالم المقلوب.(1)

وهنا أمثلة وقصص كثيرة حول هذه القاعدة مثل قصة السارق المسروق، و الخادع المخدوع وهي قصص تحتوي علي عكس الأدوار ، وتصوير موقف ينقلب علي من أوجده ودبره.

وكثيرا ما نجد في حياتنا اليومية حوادث ومواقف تجسد هذا المبدأ مثل الشخص الذي يكيد لشخص آخر ، وفي الأخير تنقلب عليه مكائده. ويفسر لنا برغسون هذه القاعد بمثاله التالي:

" أن الطفل يضحك حين يرى الكرة المقذوفة على القضبان تقلب في طريقها كل شيئ ، ما تنفك تزيد بعد أن لفت ودارت، وترددت كل أنواع التردد ،تعود إلى النقطة التي انطلقت منها ."

ويزيد برغسون مبرزا ذلك بهذا المثال:

" ونحن نري هذه النتيجة الدائرية نفسها ، وهذا العود الى نقطة البدء، في مسرحية أحدث:

رجل معذب مع إمرأته، يحسب أنه نجا منها ومن حماته بالطلاق ، ثم يتزوج ثانية ، فإذا بمجموع ظروف الطلاق و الزواج تزيد الموقف حرجا، إذ ترد إليه زوجته القديمة حماة جديدة(2)

01- -هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/63
02--هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/69

ومن الواضح أن هذا المبدأ لا يخرج في جوهره ، عن مبدأ المفارقة كما سبق ذكره ، وهو الذي يقوم أيضا على القلب و التضاد .

كما أن التنكيت عند برغسون لا يخرج هو الآخر عن هذا المبدأ – مبدأ المباينة و القلب- إذ يقوم في الغالب ، على الامتداد بفكرة المتحدث إلى حيث تعبر عن نقيض ما يريد ويقصد ، فيقع في شِـــرك حديثه.وفي هذا يستشهد برغسون قائلا: " إنكم تذكرون هذا الحوار الذي جرى بين أم وأبنها ، في مسرحية " السذج و المزيفون": إن البورصة ، يابُصسني، لعب خطر ، تربح فيه يوما وتخسر في الذي بعده.حسنا، قال الابن ، فلن ألعب، إذن ، إلا مرة كل يومين!".

ويتابع برغسون كلامه قائلا: " وفي هذه المسرحية نفسها تسمع هذا الحديث الورع بين رجلين من رجال المال ، فقال أحدهما لصاحبه: أحلال هذا الذي نفعل ؟ هؤلاء المساهمون المساكين من جيوبهم نبتزّ مالهم !.فيرد عليه صاحبه- فمن أين تريد أن نبتزّه منهم! ؟"(1)

فمن خلال المباينة و القلب ينشأ الضحك وهو يكون بقلب مواقف كتلك المواقف التي تنتقل بنا من الجانب المادي إلى الجانب الروحي أو عكس ذلك.

وبالإضافة الي هذه العوامل التي تثير الضحك قال برغسون أن هناك عاملا أخر وهو:

تداخل الاحداث و المواقف او تداخل السلاسل .

01-د/ عبدا لحميد خطاب- كتاب الضحك بين الدلالة السيكولوجية والدلالة الاستيطيقية- ديوان المطبوعات الجامعية 2006ص/49

تداخل السلاسل:

أنها قاعد ة استخرجها برغسون وهي عامل من عوامل الفكاهة والضحك ، وهذا يعني أن الموقف يكون دائما مضحك عندما يكون مرتبطا دائما و في الوقت نفسه بسلسلتين من الأحداث.

ولقد توصل برغسون إلى قانون صاغه كالتالي:

" كل موقف يُضحك إذا انتسب في الوقت ذاته إلى سلسلتين من الحوادث مستقلتين استقلالا مطلقا، وأمكن أن يفسر، في آن واحد، بمعنيين متغايرين كل التغاير".

ويأتي برغسون بمثال يوضح ذلك :" تصوروا أسر بونيفار في قصر شيون، ولتكن هذه السلسةأولى من الحوادث. ثم تخيلوا تارتاران في سياحة في سويسرة ، معتقلا سجينا، ولتكن هذه سلسلة ثانية مستقلة عن الأولى. ثم تخيلوا الآن أن تارتاران مقيد بقيد بونيفار نفسه ، وأن القصتين بدتامتطابقتين لحظة، تحصلوا علي مشهد مضحك جدا."(1)

ومن بين الوسائل الهامة للحصول على التداخل نجد نكتة الجناس ، فإذا كانت الجملة الواحدة تمثل معنيين مستقلين، فما ذلك إلا مظهر، والواقع أن ثمة جملتين مختلفتين ، متألفتين من كلمات مختلفة، يستفاد من وحدة وقعهما الصوتي في الأذن للتظاهر بالخلط بينهما. (2)

وهذا التداخل في المعنى للكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة نجده كذلك عند الجاحظ في قصصه الأدبية الرائعة مثل استعمال لكلمة "الحب" التي توحي إلي معنيين مختلفين : الحب بمعني العاطفة التي تنشأ بين الزوجين ، والحب بمعنى آخر ،أي القمح.

01-هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/72
02-هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/73

وبهذا يصل برغسون إلى أن كما يمكن أن تكون سلاسل الحوادث أو المواقف مضحكـــة بالتكرار والقلب أو التداخل، فكذلك يمكن أن تكون سلاسل الكلمات مضحكة بالتكرر والقلب أو التداخل.

وسننتقل من هذا المحور، محور المضحك في الكلمات و الظروف إلي محور آخر مهم ألا وهو محور مضحك الطباع، حيث نتسأل عن العناصر التي تجعل طباع الشخصية مضحكة؟

ومما سبق ذكره تبين أن الضحك، ومنشأه كانت تدور حول الإنسان في أشكاله و أفكاره ، أما في هذا المحور فنحاول إبراز المضحك من داخل الإنسان ذاته.

مضحك الطباع:

في هذا المحور يؤكد برغسون أن الضحك لا يخرج عن دائرة الإنسان ،فبعد أرائه حول مضحك الكلمات و الأشكال و الحركات وأنه لا مضحك غير الإنسان، وأن للمضحك دلالة اجتماعية وانه لا يكون إلا عند عد م وجود التلاؤم و الانسجام بين الفرد و المجتمع، انتقل برغسون إلي الاهتمام بالشخص ذاته ، أي إلي استخراج المضحك من الطباع الإنسانية.

فقد قال برغسون:" ينبغي لكل فرد من المجتمع ، أن يظل يقظا لما حوله ، متكيفا وفق بيئته، أي أن يجانب الاحتباس في طباعه كأنه برج عاجي، ولذلك فان المجتمع، إن لم يهدد الفرد بالعقاب تهديدا ، فإنه يلوح له بالمهانة ، وهي علي هونها مرهوبة ، وتلك هي ولابد وظيفةالضحك."(1)

أن برغسون في هذا النص يوجه الشخص إلى الالتزام بطباع متماشية مع مقتضيات المجتمع ودائما يكون يقظا ومرنا ومتكيفا مع بيئته الاجتماعية، وهذا حتي لا يكون عرضة لعقاب المجتمع بالضحك.

ومن خلال دراسة هذا المحور استخلص برغسون عدة خصائص متعلقة بمضحك الطباع: وهي كل من يسير طريقه سيرا أليا ، من غير أن يعينه الاتصال بالآخرين يكن مضحكا وما وظيفة الضحك إلا أن يعاقب ذهوله و ينتشله من حلمه.

وهو يرى أن العيوب اليسيرة التي نلاحظها في الناس هي التي تؤدي بنا الى الضحك ، بل يؤكد أننا نضحك من بعض العيوب ونحن ندرك تمام الإدراك أنها عيوب خطيرة ، بل يري برغسون أنه يمكن أن نضحك حتى من المحاسن وهذا ما تؤكده مقولته:

" إن الضحك ليس دوما دليلا على عيب".(2)

نستطيع أنسلم بان عيوب الناس هي التي تضحكنا و الحقيقة أن ما يضحكنا في هذه العيوب هو كونها غير اجتماعية لا لكونها غير أخلاقية، فالطباع حتى تكون مضحكة لابد من عدم موافقتها لتعاليم المجتمع، فكل أخلاق تخالف تصورات المجتمع تكون مضحكة سواء كانت أخلاق فاضلة أو أخلاق سيئة .

01-هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/94
02-هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/96

فالاجتماعية في الشخص الضاحك و عدم توفر عنصر الانفعالية فيه ،إلى جانب التصلب و الاليـــة و الانعزالية، هي التى تبعث على الضحك.

فالشخص الذي يتميز بأخلاق جميلة ولكنه منعزل عن المجتمع وغير مألـــوف بين أفراده يكـــون موضوعا للضحك أكثر من غيره، وبهذا تعتبر كل هذه شروطا للضحك.

إن الطباع الجاهزة هي التي تضحكنا ،وهو تحول الشخصية إلى ما يشبه آلة اتوماتكيـــة جامـــدة و متصلبة بعيدة عن الحياة .

ولقد تطرق برغسون في هذا المحور إلي فن الملهاة وجعله من الفنـون الراقيـــة، حيث فضلـــه على الدراما وجعله الفن الذي يلامس الحياة الواقعية ويعبر عن عمقها أكثر من فـن المأســـاة الذي له نزعة فردية، على غرار فن الملهاة الذي يتجه إلي العموم، فالكوميديا لا تنفصل عن الواقع.

قال برغسون :

" كلما ارتفعت الكوميديـــا وارتقت كلما تداخلت مع الحياة ، و يوجد في الحياة الواقعيـــة مشاهد قريبة جدا من الكوميديـــا العاليـــة بحيث يستطيع المسرح أن يتبناها دون أن يغير فيها كلمة".(1)

فالملهاة تصور لنا طباع الإنسانية الموجودة في الحياة الواقعيـــة، فهناك نمـــاذج كثير ة للملاهـــي مثل البخيل و الذاهل ، فصفة البخل لا يمكن تصور مجتمعا خاليا من هذه الصفـــة وهو خلق الذي يبعث على الضحك وهي مادة أساسية انتقلت من درامـــا الحياة إلى حياة الدرامـــا أي من الحيـــاة المجتمع إلى المسرح .

أما الذهول فقد اعتقد برغسون أن كلما عمق الذهول كانت الملهـــاة أرفع وضرب مثالا على ذلك مثال دون كيشوت الذي أعتقد أن الطاحونات فرسان عمالقة ،فذهول هذه الشخصية عن الواقـــع باعث على الضحك.

وقد يكون المضحك في الشخص نفسه ، و طريقة كلامه ، أو طريقة حركته،أو تفكيره،أو تفاعله مع الحياة، أو مع الآخرين.

01- هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987 ص/91

وهنا يقول برغسون :

"تصوروا ، إذن ذهناً يفكر فيما فعـل ، لا فيما يفعل ، كالحن الذي يتأخـرعن موكبـه ، تصـوروا أمرءا لا مرونة في عقله وحواســه، يرى ما ليس بموجود بعد، ويسمــع مالا يصوت بعد، ويقول ما لا يوافق المقام ، أي يتلاءم مع ظرف خيالي محض،بينما ينبغي أن يتكيف مع واقع راهن .إن المضحك في هذه الحالة يكون موجـودا في الشخص نفسه ،فالشخص هو الذي يقـدم له كل شيء ، المادة والصورة ، العلة والمناسبة ،و ذلك هو الذاهل".(1)

إذن الطباع الإنسانية الجاهزة أي التي تتصف باللإجتماعيــة واللأنفعاليــة وألأليــة ، فكل هذه العناصر تتداخل فيما بينـها جميعا وتألف مُضحك الطباع.

إن هذه الطباع الجاهـزة هي المادة الأساسيــة في فن الملهــاة ، وقد أكد برغسون أن هذا الفـن هو من بين الفنون الراقيـة التي تستهدف العمـوم، فالواقع الاجتماعي هو الذي يشكل جوهر الكوميديا.

ومن خلال ما سبق ذكره ،تبادر إلى ذهننا سؤال وهو ما مدى موقع الكوميديا في فلسفة برغسون؟ أي هل الملهاة فن مثل بقية الفنون الأخرى؟

إن فلسفة برغسون فلسفة مثالية ، فرؤيته إلى الفن قائمة على أساس مثالي أي ينزع في فلسفته الفنية نزعة لامادية بعيدة عن أي منفعة ،ومما يؤكد نظرته ما قاله في هذا النص:

" ما الفن في حقيقة الأمر إلا رؤية للواقع أكثر مباشرة،ولكن هذه النقاوة في الإدراك تتضمن هجرا للتواطؤ المفيد وتقتضي أن يكون الحس أو الشعور في مواضع معينة مجردا بالفطرة عن المنفعة ، أي أنـها تنطوي على شيء من اللامادية في الحياة ، وهي ما أسموه دائما بالمثالية". (2)

01-عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/111

02-هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/107

فبرغسون يعتقد أن العموميات المتمثلة في كل ما يتعلق بالإنسان من فكر وطبع وحركة هي مواضيع أساسية للملهاة، وإذا نقلتها إلى المسرح أبدعت أثارا هي من الفــن لاشك، لأنها لا ترمي من حيث تشعر ، إلى غير اللذة ، ولكنها تمتاز من سائر الفنون بصفة العموم التي لها وبكونها ترمي، من حيث لا تشعر، إلى التصحيح و التعليم، فهو يقر أن الملهاة تتوسط بين الفن و الحياة.

ينتقل بعد ذلك برغسون إلى تحليل الشخصية الكوميدية ، حيث يقر أن سلوك هذه الشخصية غير سوي لأنهُ مضاد للمجتمع وبالتالي يتلقى عقابا منه.

وهذه الشخصية الكوميدية بدلا من التكيف مع المجتمع تتصف بالجمود و التصلب.

فيكون الضحك سيفا مسلطا على هذه الشخصية ،نظرا لِما أتسمت به من انحراف اجتماعي،حيث تتخذ طريقة التكرار وهو من أكثر أساليب الكوميدية استعمالا لتوليد الضحك عند المشاهد فتكرار الكلمة لغزا في الكوميديا.

ثم يذهب بنا برغسون إلى تحليل شروط الكوميديا، حيث يجب على الشخصية الكوميدية أن تتوفر على مواصفات ضرورية لتحقيق الفعل الكوميدي، فهذه الشخصية لابد أن تكون شخصية هزلية بذاتها ، هزلية في كل مظاهرها .

وعموما يجب علي الكوميدي أن ينسى نفسه حتى يكون مدعاة إلى الضحك، وهنا يظهر جليا أن نظرية الضحك عند برغسون مرتبة بمفهوم اللاوعي ،فتعتبر كل مظاهر الشخصيــة الكوميديــة وتجلياتها خارجة عن منطقة الوعي الفكري أي الشعور المتواصل بحركية الفكر ومرونــة الحياة، بل نجدها لا تخرج عن دائرة الجمود و الاتوماتكية.

وبهذا يصبح الكوميدي عرضة للضحك و الاستهزاء عقابا له عن عدم تواصله مع المجتمع.

وقد أكد برغسون في هذا النص: على إستعداد العميق للكوميدي، حتى يصبح شخصية هزلية مثالية "لكي يقدم للكوميديا غداءا دائما، سطحيا مع ذلك من أجل البقاء ضمن نبرة الكوميديا ،وغير مرئي من صاحبه الذي يملكه ، لأن المضحك هولاوعي ،مرئيا من بقية الناس، لكي يثير الضحك الشامل (1)".

ومن عناصر المضحك التي أعتمدها برغسون التي تتصف بها الشخصية الهزلية نجد كذلك مايلي:

-مملوءا بالتسامح، حتى يتوسع بدون حرج.

-مضايقا للآخرين (أي حتى يقمعوه بالضحك).

-قابلا للتصحيح مباشرة، حتى لا يكون من غير المفيد الضحك منه.

-قابلا لتوليد الضحك من جديد

-قابلا للإضافة إلي كل العيوب وحتى إلي بعض الفضائل.(2)

فهذه العناصر المختلفة هي التي يجب أن تتجمع في الشخصية الهزلية وتنصهر في ذاتها لتتمكن من توليد الضحك .

لقد بين برغسون أن كل العيوب قد تكون مضحكة , وحتى بعض الفضائل تكون مضحكة ومن بين العيوب المثير للضحك نجد "الغرور" وهو الخلق الذي ارتبط بالغفلة و السهو وبالتالي كان الضحك العلاج الوحيد لهذه النقيصة.

ومن أنواع الغرور ، نجد الغرور المهني ، ويضرب مثالا حول الفنون الراقية ، حيث يشعر الفنان بأن فنه هو أرقى الفنون، فيعتبر نفسه أنه صاحب رسالة وليس كغيره من الناس.

وهذا الغرور المهني سماه برغسون بالهزل المهني ، حيث يحتقر صاحب المهنة مهنة أخرى والضحك هو الذي يقوم بدور تصحيح هذا الجمود وقلبه إلي ليونة وإعادة تكييف كل فرد ليتلاءم مع المجتمع .

01- هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987 ص/112
02- هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987 ص/113

وحسب نظرية برغسون أن الهزلي المهني يتولد كما يلي:

" لكن الوسيلة الأكثر شيوعا لدفع مهنة ما إلى الهزل هو حصرها – إن أمكن القول- داخل الكلام الخاص بها. وجعل القاضي و الطبيب، والجندي يطبقون على الأشياء المعتادة لغة القانون أو الاستراتيجيا أو لغة الطب كما لو أصبحوا غير قادرين على أن يتكلموا كبقية الناس."(1)

فالمضحك لا يتولد إلا إذا كان كل صاحب مهنة منعزلا عن المجتمع، وغير مألوف اجتماعيا وينظر إلى غيره نظرة دونية، فلا يألف ولا يؤلف، فيتولد الهزل المهني .

وهنا ينتقل برغسون إلي تحليل الشخصية الهزلية في حد ذاتها ، وما ينتج عنها من لا معقولية في إدراك الأشياء إدراكا عقليا و منطقيا، فتظهر هوة شاسعة بين فكر الشخص و الواقع الملامس ،وهذا ما أعتبره نوعا من الجنون ثم من خلال تحليلاته سماه حلما ثم وهما بعد ذلك.

فقد قال برغسون عن اللامعقولية المضحكة:" ما يضحكنا هو اللامعقول المحقق، بشكل محدد إنه لا معقولية واضحة مرئية – أو هو أيضا شبه لا معقولية، مقبولة أولا ثم مصححة في الحال".'(2)

وقد أكد برغسون أن المضحك هو الذي يناقض الحس العام، أو ما هو متعارف عليه ومألوف ومعقول عند الناس، وضرب مثال في ذلك:

وهو الشخصية الهزلية المشورة في الروايات العالمية، الذي قرأ أن الفارس يلتقي بالعملاق في الحرب، فهذه الفكرة تركزت في ذهنه واستقرت في ذاكرته ، فلم يتسنى لها الخروج إلي الواقع أو استعمالها لفهم الواقع، إلا بعد رؤيته للمطحنة التي تصورها كعملاق من عمالقة الحرب وهي فكرة كانت مستقرة في ذاكرته وخرجت غير مطابقة للواقع وغير معقولة.

فحيث نشاهد نحن مطاحن هو يشاهد عمالقة ، فلا معقولية دون كيشوت تتجلي في إخضـــاع ورد أوضاعه القائمة وتحليلاته لذكريـــات ، فهو يستعمل الحواس لتفسيـــر الواقع ، فحين نجد الشخص العاقل هو الذي يستخدم ذكرياته لتساعده على تفسير أوضاعه.

01-هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987ص/117
02-هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987ص/118

لقد شبه برغسون هذا النوع من المضحك ببعض أشكال الجنون ،وهو جنون عادي ، جنون يلاءم العافية العامة للفكر ، أي ليس جنون مرضي بل جنون فكري، أو انحراف العقل وتفسيره للمدركات الحسية تفسيرا لا منطقيا.

وهو أيضا قد أرجع ونسب هذه اللامعقولية التي تثير الضحك إلى الحُلم ،حيث تستخدم هذه الشخصية الحالمة أيضا المدركات الحسية وتفسرها حسب الذكريات المفضلة عندها، أي بطريقة عكسية ،وهو إخضاع المدركات الحسية إلى الأفكار و الذكريات المُسيطِرة على الشخصية الهزلية.

وهذا ما هو معروف في علم النفس بالأحلام اليقظة، وهي عبارة عن أوهام غير معقولة وغير منطقية لا يمكن أن تتجسد في الوقع الاني.

وقد نوه برغسون إلى ذلك في هذا النص حيث قال:

" الحالم بد لا من أن يستعين بكل ذكرياته لكي يُفسِرُ ماتدركه حواسه ، يستخدم – بالعكس- ماتدركه حواسه لكي يجسد ذكراه المفضلة، إن صوت الريح النافخ في المدخنة، يصبح عندئذ-بحسب الحالة النفسية للحالم ، وبحسب الفكرة التي تشغل خياله- زمجرة أسود أو غناء إيقاعيا تلك هي الاوالية لوهم الحلم".(1)

وعموما ينتهي برغسون إلي أن الأمر الهزلي هو قطع العلاقة مع المنطق و الابتعاد عن استخدام العقل واستحباب اللعب الذي يدعو إلي الكسل، الذي يؤدي إلى بمظاهر الصلابة و الجمود الفكري و الحركي والدخول في الألية فيتحول الفرد من شخص تدُبُ فيه الحياة و اليقظة إلي مجرد آلة جامدة خالية من الحياة.

01-هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987ص/121

وظيفة الضحك الاجتماعية:

إن الضحك عند برغسون ظاهرة اجتماعية ، فغايته من تأليف كتاب "الضحك" هو محاولة إصلاح المجتمع من العيوب المُطبقة عليه ، ومن ثمة إعادة تصحيح السلوكيات الاشخاص من الجمود و التصلب إلى مرونة الحياة وحركية الفكر وهو يقول:"تتطلب الحياة و المجتمع الان من الفرد كِلاَ من التوتر و المرونة، القابلية للتكيف و التنبه أو اليقظة الذهنية... .....ويتشكك المجتمع في كل الميول الخاصة التي تسير في اتجاه التصلب و الجمود، ومن أجله ابتكرت المجتمعات تلك العلامة الاجتماعية الخاصة المسماة بالضحك كي تخدمه."(1)

فنحن نضحك من كل فرد يتصرف تصرفا أليا كأنه تحول إلى لعبة تحركه أسلاك مثل لُعب الاراجوز، وهذا على مستوى جميع أوضاع الإنسان حركاته و كلماته وحتى طباعه.

فالمجتمع يضحك من هذه ألا وضاع الإنسانية المختلفة، نتيجة خروجها على منطقه، فضحكه قِصاص عادل وهي طريقة ينتقم منها المجتمع ممن يتطاولون على منطقه ومعقوليته.

فهو يرفض كل ما ينتج عن أفراد المجتمع من حركات وكلمات وأشكال غير مألوفة إجتماعيا وغير مقبولة عقليا.

فنحن لا نضحك إلا في جماعة ومن خلال التفاعل الاجتماعي، فكلما تعدد أفراد الجمــاعة ازدادت حدة الضحك،إذن فمنبته الجماعة.

والمجتمع يقتضي أن يكون أفراده دائما في حالة اليقظة و الانتباه مستمرين،و هذا حتى يبقى أفراده داخل النظام الاجتماعي العام.

01- هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/127

ويؤكد برغسون موقفه الاجتماعي من خلال هذا النص:

" إن الضحك وسيلة تصحيح قبل كل شيء، فإذا نظرتم إلى الآثار المضحكة و فرزتم من حين إلى حين النماذج الرئيسية وجدتم أن الآثار المضحكة البسيطة تستمد قوة إضحاكها من شبهها بهذه النماذج، وأن هذه النماذج نفسها هي أنماط من الوقاحة نجاه المجتمع، يرد عليها المجتمع بوقاحة أشد منها هي الضحك، إذن ليس في الضحك شيء من لطف بل هو يرد الشر بالشر." (1)

ومما يؤكد على قساوة الضحك والعقاب الذي يسلطه على كل منحرف ومتمرد على النظام الاجتماعي المتعارف عليه ،للبلوغ أهدافه وعي تصحيح وإصلاح العيوب و النقائص .

قال برغسون:"

إن الضحك هو قبل كل شيء تصحيح و إصلاح.لقد وضع من أجل التخجيل فيجب أن يُشْيعَ في الشخص المَضحُوك منه إحساسا متعبا.إن المجتمع ينتقم عن طريق الضحك للحريات التي أُخِذَت منه.ولا يبلغ الضحك هدفه إن هو اتسم بالود وبالطيبة".(2)

ولكن هذا ليس على كل أنواع الضحك، فكثيرا ما نجد الضحك المُتسِم بالود و الطيبة يكون له أثرا كبيرا في تصحيح و إصلاح العيوب، فمثلا: الوالد الذكي مع ابنه المخطئ، حيث يبتسم في وجهه وبطريقة ذكية يؤنبه على تصرفاته ، وإيقاظ في نفسه منطق العقل ،حيث يضع نصب عينه تكييف أخلاق ابنه مع مقتضيات المجتمع وحاجاته.

إن برغسون استخدم الضحك كوسيلة وجعلها أساسية للوصول إلى أهداف وغايات المجتمع ولكن هذه الوسيلة لا تحمل في طياتها الخير بل هي أسلوب غير لائق وشرير أريد به خيرا كثيرا.

وكما جاء في الأثر: الغاية تبرر الوسيلة ،فبرغسون لم تهمه الوسيلة بقدر ما كان اهتمامه منصبا علي كيفية تحقيق غايات المجتمع من خلال ظاهرة الضحك وتوظيفه في تصحيح نقائص المجتمع.

01-هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987ص/127
02-هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987ص/128

فيقوم الضحك عنده بوظيفة مفيدة تشبه إلى حد ما وظيفة المصفاة، فهو الذي يعمل على تصفية كل الشوائب و الإرباكات التي تلازم الكتل البشرية ، فيطرد ها إلى السطح المجتمع وتبقي أعماقه متوازنة و متكيفة ، فقال برغسون في هذا الخضم:

"إن الضحك ينشأ كما ينشأ هذا الزبد ، إنه نذير الثورات السطحية في ظاهر الحياة الاجتماعية ....إنه هو الآخر رغوة مالحة، وكالرغوة يفور من مرح. ولكن الفيلسوف الذي يتناول شيئا منه ليذوق طعمه، يجد أحيانا في قليل من مادته غير يسير من المرارة." (1)

ولكن التحليل الكيموي أثبت أن ماء الزبد أقل ملوحة وأدنى مرارة من ماء الموج نفسه.وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الضحك ليس مُرا في كل الحالات، بل يعتبر الضحك أمرا مهما في حياة الفرد، مُهما في التواصل الاجتماعي وربط العلاقات الإنسانية، كضحك المحبة وابتسامة اللقاء، وضحك التعارف. فهو نوع من العقاب ينزله المجتمع بالأشخاص الذين يخرجون عن عاداته وقيمته.ولكنه ليس عقابا صادرا عن لؤم أو إنتقام نحو مجرم أقدم على جريمته عمدا ." ان الضحك يعاقب بعض الاخطاء كما يعاقب المرض بعض الإسراف يضرب الأبرياء ويترك المذنبين .يرمي إلى غاية عامة ولا يفحص كل حالة على حدة ولذا لا يكون الضحك عادلا بصورة مطلقة".(2)

01- هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة ص/130

02- علي بوملجم –في الجامالیات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن-المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع-بيروت /ط01 سنة 1990ص/92

نقد نظرية برغسون:

إن من خلال دراستنا لنظرية برغسون في الضحك ، نستخلص أنها تنتمي إلى النظريات القائمة على " التناقض في المعني"،ويظهر ذلك جليا في أرائه التي تؤكد وجود تعارض وتناقض بين الجانب الآلي والجانب الحي المتجدد ، سواء كان هذا التناقض على مستوى الفكري و اللفظي أو على مستوي الاجتماعي.

فنظريته هي استمرارية في فلسفته الأخلاقية ومستوحاة من فكرته حول التطور الخلاق أي وجود قوة حيوية تدفع المجتمع إلي الحياة و التجدد، وهو بهذا ينتهي إلى وضع دستورعام للضحك ينص على أن الضحك منشأه الألية المُلبسة للحياة .

فقد كانت نظريته من بين النظريات الفلسفية الرائدة التي ساهمت في تحليل ظاهرة الضحك.ومع ذلك واجهت عدة انتقادات حول مضمون نظريته:

-إن الضحك عند برغسون يتطلب من القلب أن يتوقف لحظة عن التفكير ، لأن المضحك يتجه مباشرة إلي العقل ،ولكن الضحك اجتماعي وتفاعلي ، فكيف يحدُث من دون انفعال ، كيف يحدُث من دون فرح وسرور؟ فلا يمكننا أن نضحك من دون تفاعلنا مع الآخر.

أن الرجل الذي يسقط فجأة والذي أشار إليه برغسون في بداية كتابه حول الضحك لن يحدِثَ ضحكا لدى الجميع من شاهدوا هذه الحادثة ، فيمكن أن يتغلب على بعضهم الشعور بالشفقة والرحمة مع من يسقطون خاصة إذا كانوا من كبار السن و المرضى ، فلا نضحك منهم، إذ كيف نضحك ممن هم أجدر بالبكاء؟ فهم في حالةٍ يستحقون المساعدة والمآزرة وليس موضوعا للضحك ،إن الضحك على هذه الفئة من الناس ، إن دل على شيء فإنما يدل على نقص وعدم نضح في عقل الإنسان وبعيدا عن الأخلاق المطلوبة.

ثم إن فكرة عدم التأثر في المضحك غير صحيحة ، لأن المرء يضحك أحيانا ممن يُحبه ، كالأم قد تضحك من وليدها و الأب قد يضحك من ابنه حبا له ورفقا به ، قد يضحك المرء إذن وعيناه مُغرَورقتان بالدموع.

الضحك ظاهرة اجتماعية تصحيحية يعاقب من خلالها المجتمع من ينعزلون عن مركزه. فهل ينبغي عقاب كل منعزل عن مركز المجتمع بالضحك؟

ألا يمكن أن يكون هذا الانعزال سلبيا في حالة المرض أو إيجابيا في حالة الإبداع؟فهل ينبغي عقاب المبدعين أيضا ؟

وماذا إذا كان المجتمع نفسه هو المتسم بالنمطية والآلية؟ والفرد هو المتسم بالمرونة و التجدد.

ألا يستحق مثل هذا المجتمع أن نسخر منه ونضحك؟

ألا يستطيع مبدع كبير مجدد أن يخرج مجتمعا ما من آليته وذهوله وغيبوبته و ليس العكس؟(1)
إن نقطة ضعف نظرية برغسون أنه أهتم فقط بنوع واحد من أنواع الفكاهة والضحك وهو السخرية وأهمل ألأنواع الاخري مثل:ضحك الفرح و البهجة .
ولهذا لا يمكن تعميمه عل كل جوانب الضحك ، ذلك أن الآلية التي تُلبس الحياة لا تكون محلا للضحك دائما بالضرورة ، بل قد يكون الأمر، أحيانا على العكس من ذلك ، كأن يكون مُرهبا ، مُخيفا في بعض الأحيان ، لا مضحكا ، ذلك مثل استعراض عسكري لجيش من الجيوش الجرارة فإن حركتها الآلية هي من دون شكٍ حركة مُهيبة مرهبة تشعرنا بالسمو و الجلال ، وهذه الآلية في الحركة هي المقصد المطلوب الذي يحفظ نظام و الانتظام في العرض، وعليه لو خرَج أحد الجنود عن هذه الحركة، وكان لينا مُسايرا للحياة وبعيدا عن هذه الآلية العسكرية لكان عُرضة للسخرية و الضحك ومن دون شك أنه سوف يتعرض إلى عقاب من المجتمع أي من (مَرؤوسيه).

01–عبد الحميد شاكر الفكاهة والضحك رؤية جديدة لفكاهة و الضحك رؤية جديدة – سلسلة عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت سنة 2003 ص/117

هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يكون الآلية الملبسة للحياة سَببا للرقة الجمالية ، لا للضحك.

مثال ذلك : فوج من الراقصات في مسرح من المسارح يقمن بحركات منتظمة متناسقة مرسومة، كأنها حركات آلات. فلاشك أن حركات مثل هذه من شأنها أن تُثير اللذة و الذوقية و الإعجاب الجمالي، بدل السخرية و الضحك(1)

وليس ضحك كله شرا كما جاء في كتاب الضحك لبرغسون:

"إن هذه النماذج هي أنماط من الوقاحة تجاه المجتمع، يرد عليها المجتمع بوقاحة أشد منها هي الضحك.وإذن فليس في الضحك شيء من لطف بل هو يرد الشر بالشر."(2).

وعليه فبرغسون زواج بين الضحك و الشر وجعل كل ما يصدر عن الإنسان من وقاحة وخسة يعاقب بفعلٍ أشد منه وقاحة وهو الضحك، فليس الضحك كله شرا بل الإكثار منه يصبح شرا.

ولا ننسي أن للضحك المتوازن دورا كبيرا في الصحة النفسية وأثاره على التواصل الاجتماعي.

كما لا ننسى أنه حتى في الحياة اليومية للفرد نجده يتصفح الجرائد للبحث عن مواقف وقصص تثير ضحكه لا لشيء إلا لتفريج عن همومه و تجديد طاقاته النفسية ،ومعاودة نشاطه من جديد فقد أتضح أن الضحك هو ترياق سريع المفعول في تجديد الحياة.

ويمكن أن نعد دراسته عن المضحك خارج نطاق المجال الاستيطيقي لأن دراسته أقرب إلى النقد الاجتماعي الذي يحكم العقل و يجعله أداة لإصلاح التصلب والجمود و الانعزالية التي تصيب الإنسان . وهذا ما أكده النقاد الذين أعتقدوا أنه كان بعيدا عن المفهوم الجمالي و الاستطيقي للضحك ، فقد أشار إليه من حين إلى حين لكنه لم يقصده تمام القصد ، وهذا لأنه تناول مشاكل عصره وصب مختلف أطروحاته في الضحك على قاعدة ألآلية وهي مشكلة عصره.

01-د/ عبدا لحميد خطاب- كتاب الضحك بين الدلالة السيكولوجية والدلالة الاستيطيقية- ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2006 /ص52
02-د/هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي ألدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة سنة1998 ص/127

"مشكلة الصراع بين الآلية وتضاؤل نصيب الروح وفيه يصف كيف توسع جسم الإنسانية وطغت عليه الآلة في حين بقيت نفس الإنسانية على حالها وقد عبر عن هذا تفسيرا و تحليلا في الفصل الأخير من كتابه ينبوعا الأخلاق و الدين " وعنوانه الآلية والتصوف".(1)

وهو الكتاب الذي يتحول فيه برغسون من علم للحياة إلى علم الاجتماع الأخلاقي و الديني، فكانت النزعة المادية السائدة في عصره وفسرت كل شيء تفسيرا ماديا ، حيث طغت المادة على الفكر و الإرادة الحرة، فليس ثمة حياة إرادية أو قوة حيوية تعمل عملا أو ترفضه بل هنا حالات مادية متتابعة ، كل حالة نتيجة لما قبلها ومقدمة لما بعدها ، فهو تفسيرا مكانيكا واليا بعيدا كل البعد عن الإرادة والحياة. فجاء برغسون ناقدا لهذه الفلسفة ومبرزا عيوبها حيث اتجه اتجاها مثاليا ،فكانت نظريته قائمة على الارادة والحياة ، وعلى هذا الأساس فسر ظاهرة الضحك وجعلها مرتبطة بالآلة الجامدة ، لأن الحياة تنشد الحرية و التحرر من قيود المادة ونحن نضحك عندما نشاهد كائنا حيا يتصرف كما تتصرف المادة الجامدة، كالآلة.

إن نظرية برغسون حول الضحك كانت أقرب إلى الفلسفة الاجتماعية منها إلى الفلسفة الفنيةحيث أنه صب جام اهتمامه على التحليل الفلسفي و الاجتماعي للضحك بعيدا عن إمكانية خلق متعة فنية وجمالية لهذه الظاهرة، إلا فيما عدا الملهاة التي جعلها في منطقة وسطى بين الفن و الحياة ، فقد كان ناقدا الاجتماعي بارعا في تشخيص عيوب مجتمعه ، ومن ثمة وضع قوانين اجتماعية تحكمه وتزجر كل من يحاول أن يخرج عنها.

01–عبد الرحمان بدوي الموسوعة الفلسفية برغسون ج أ بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ص/339

الخاتمة:

إنه من خلال هذه الدراسة ترآى لنا أن جل الفلاسفة والمفكرين كانت نظرتهم حول الضحك مغايرة للآخرين ، حيث إختلفوا ، في تحديد مفهوم الضحك وأسبابه المُنشأة له ، فكانت أرائهم متباينة وهذا من الواضح أنه راجع الى صعوبة فهم هذه الظاهرة المُعقدة ، لاسيما إذا كانت مرتبطة بالجوانب الفزيوبوجية و النفسية للفرد .

فقد وجدنا البعض منهم ينبذ هذه الظاهرة ويرفضها كافلاطون الذي يُحرمها على طبقة الفلاسفة و الحكام ،ويسمح بها عند طبقة الجنود و العبيد ،وفي فلسفته ، الضحك ينشأ من جهل الذات بذاتها.

ومنهم من يَحصُره في اطار ضيق كارسطو الذي جعله مرتبط بفن الملهاة مع استحبابه إذا لم يتعدى الحدود الاخلاقية لا افراط و لا تفريط ، وكان في منزلة بين المنزلتين .

ثم نجد كانط الذي ارتبط الضحك عنده بالجانب الجسمي ،أي هو نتيجة التوتر و التوقع الذي يؤدي الى لا شيئ ، وبعد ذلك جاء تلميذه شوبنهاور ، حيث جعل الضحك ،هو إدراكنا للتناقض المفاجئ ، أي التضاد الموجود بين العقل و المُدرك الحسي.

أما في الفكر العربي فقد كان للجاحظ نصيبا كبيرا في تحديد ظاهرة الضحك وتحديد أسبابه وفوائده الاجتماعية، فاتخذ التهكم و السخرية اسلوبا لنشر أفكاره و الوصول الى مقاصده،والأمر سيان بالنسبة الى ابو حيان التوحيدي الذي اقتفى أثار استاذه ، في فلسفته حول الضحك إلا أنه كان أقرب إلى الجد منه الهزل.

أما برغسون فنظريته حول الفكاهة و الضحك بمثابة الامتداد لفلسفته الاخلاقية و الميتافيزيقية ،وتنبع أفكار عدة لديه من معارضته للنزعات المادية الألية التي كانت شائعة في أيامه ، وكون نظريته حول الضحك بمثابة التطوير الموسع المفضل لفلسفته العامة هو من الامور النادرة لدى الفلاسفة.

حيث نجد ان افكار الفلاسفة الذين سبقوه حول الضحك كانت عبارة عن تعليقات سريعة وقصيرة بالنسبة الى نظرياتهم الكبرى.

وتعكس نظرية برغسون حول الضحك الجوانب الرئسية من فلسفته : ثنائية الحياة و المادة، ومن ثم الثنائية بين الغريزة و العقل ، بين الألي و الحي ، بين الجمود و المرونة ، بين اليقظة و الذهول

ويعتبر من بين الفلاسفة القلائل التي كانت نظرياتهم حول الضحك إمتدادا الى فلسفتهم العامة والضحك عنده نتيجة الجمود و الالية التي ترتبط بالشكل أو الفكر أو الطبع .

واخيرا توصلنا الى ان الضحك يصبو الى تحقيق قيمتين أساسيتين القيمة الجمالية، فبإعتباره يفتقد الى الانسجام و التوازن في الشئ المضحك ، يهدف من وراء ذلك الى البحث أو التنبيه على غياب هذا الا نسجام ، حيث يَجلُب الضحك لدى الفرد المتعة النفسية ،إنطلاقا من إحساسه بجمالية مايعرض عليه من مواقف أو كلمات ومايَنقصها من انسجام حتى تكتمل الصورة الجمالية فيها.

أما القيمة الاجتماعية للضحك فتتجلى في عملياته التصحيحية لكل النقائص الاجتماعية و العيوب الاخلاقية و السياسية وكل الانحرافات الفردية ، حيث يعمل الضحك على ردع مثل هذه السلوكات ورد الفرد الى حظيرة المجتمع ، فالضحك شكل من اشكال التعبيرية ، كثيرا مَايتركُ أثرًا فعَّال على سلوكات الفرد ،لإعادة إدماجه في المجتمع .

وعموما إن البحث في مجال الضحك ، لاينتهي ، حيث لايمكن الالمام بكل النظريات والتصورات الفلاسفة ، فهذا غيض من فيض ، وقطرة ماء في بحر عميق.

المصادر

- القرآن الكريم
- الجاحظ – كتاب التربيع و التدوير- عني بنشر وتحقيقة- شار بيلات – دمشق سنة1955
- الجاحظ البخلاء-وضعه محمد عبد الكريم النمري –دار الكتب العلمية بيروت –ط:الثالثة سنة 2005
- -الجاحظ- فلسفة الجد و الهزل – قدمه وشرحة د/ الشيخ محمد علي الزغب دار الشؤون الثقافية العامة بغداد
- الجاحظ -البخلاء –تحقيق طه الحاجري الطبعة الرابعة القاهرة دار المعارف
- جميل جبر : الجاحظ في حياته وأدبه وفكره –بيروت دار الكتاب اللبناني للنشر 1968
- د/شوقي داود تمراز محاورات الكاملة لأفلاطون مطبعة الأهلية لنشر و التوزيع سنة1994 بيروت لبنان
- أرسطو –فن الشعر ترجمة وشرح وتحقيق –د/ عبد الرحمان بدوي مكتبة النهضة المصرية القاهرة
- إيمانويل كانط –نقد ملكة الحكم – ترجمة غانم هنا –توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية بيروت –طبعة 2005
- ابن الجوزي-أخبار الحمقي و المغفلين المكتب التجاري بيروت
- أبو حيان التوحيدي – المقابسات- بقلم احمد السندوسي الطبعة الأولي مصر
- ابو حيان التوحيدي و مسكويه– الهوا مل و الشوامل– نشره احمد أمين و السيد صقر – مطبعة لجنة التأليف والترجمة1951
- ابو حيان التوحيدي – الإمتاع و المؤانسة –الجزء الثالث- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1989الجزائر
- هنري برغسون الضحك البحث في دلالة المضحك ترجمة سامي الدروبي و عبد الله الدايم – الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- هنري برغسون الضحك ترجمة د/ علي مقلد – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعةالاولىسنة1987

المراجع

- عبد الرحمان بدوي الموسوعة الفلسفية برغسون ج أ بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر
- نهاد صليحة (المسرح بين الفن و الحياة) مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة2000.
- عباس محمود العقاد -جحا الضاحك المضحك-ط- دار الكتاب العربي بيروت لبنان1969)
- عبد الكريم اليافي – دراسات ت فنية في الأدب العربي-مكتبة لبنان طبعة الأولي 1992
- عبد حميد شاكر –الفكاهة والضحك رؤية جديدة- عالم المعرفة –مطابع السياسة الكويت
- جورج سنتيانا – كتاب إحساس بالجمال – مطابع الوطنية المصرية للكتاب 2001
- د/ محمد حمدي ابراهيم – نظرية الدراماالاغريقية- طبع دار نوبا للطباعة القاهرة 1994 .
- الدكتور عمر الدقاق -ملامح الشعر العباسي- دار الشرق العربي بيروت لبنان .
- الدكتور زكريا إبراهيم- أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء- المؤسسة المصرية العامة
- مصطفى غالب في سبيل الموسوعة الفلسفية –سقرط– دار الهلال بيروت سنة 1991
- ول ديورانت قصة الفلسفة ترجمة د/فتح الله محمد المشعشع مكتبة المعارف بيروت – الطبعة السادسة 1988.
- عبد الحميد خطاب الضحك بين الدلالة السيكولوجية و الاستيطيقية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرسنة 2006
- علي بوملجم –في الجماليات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن-المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع-بيروت /
- يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية طبعة جديدة دار القلم بيروت لبنان.
- د/ عصام الدين حسن أبو العلا –نظرية ارسوطاليس عن الكوميديا –مكتبة مدبولي 1993 .
- -د/ محمد حمدي إبراهيم - نظرية الدراما الإغريقية -مطبعة دار نوبار للطباعة القاهرة ط:01 سنة 1993
- سعيد محمد توفيق –ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور- دار التنوير للطباعةو النشر- الطبعة الاولى-سنة 1983
- /–وفيق غريزي –شوبنهاور و فلسفة التشاؤم -دار الفارابي بيروت لبنان- الطبعة الاولي

- **د/فريدة غيوة / اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة-شركة دار الهدى عين مليلة الجزائر 2002**
- **عبد العزيز شرف –الأدب الفكاهي –الشركة المصرية العالمية للنشر-الجيزة مصر- الطبعة الأولي-1992**
- **-الاسفراييني-طاهر بن محمد: التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين-تحقبق كمال يوسف الحوت ط01بيروت 1983**
- **محي الدين اللاذقاني- أباء الحداثة العربية – مؤسسة الانتشار العربي-ط/الثانية سنة1998**
- **عبد الحليم محمد حسين – السخرية في أدب الجاحظ –دار الجماهرية للنشر و التوزيع و الاعلان ليبيا طبعة 1987**
- **د/محمد غنيمي –في نقد التطبيقي و المقارن-القاهرة مطبعة النهضة مصر.**
- د/ **أميرة حلمي مطر فلسفة الجمال أعلامها و مذهبها – دار القباء للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة سنة1998**
- **د/ أميرة حلمي مطر مقدمة في علم الجمال و فلسفة الفن الطبعة الاولى 1989 دار المعارف القاهرة**

الموسوعات

- محمد فريد وجدي – (دائرة المعارف القرن العشرين الجزء الخامس) – ط/ لبنان بيروت دار المعرفة
- ا بو منصور الثعالبي(فقه اللغة وسر العربية) دار الفكر العربي بيروت 1999 لبنان
- منظور لسان العرب المحيط ج2 تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي – اعداد يوسف الخياط (بيروت ؛دار لسان العرب؛
- جميل صليبا – المعجم الفلسفي الجزء الاول دار الكتاب البناني 1982
- د/زكي نجيب محمود –الموسوعة الفلسفية المختصرة – دار القلم بيروت لبنان.

الجرائد

- **جريد الجزائر نيوز بتاريخ29 اكتوبر 2010.**
- **جريدة صدى وهران بتاريخ 2010/10/26 صفحة نور الإسلام.**

المراجع الأجنبية

- Que sais-je ?BERGSON par jean louis vieillard-bardon-edition dalta el metn-libon 2009.

-Bergson le rire67 émé édition paris 1946 .

الفهرس

مقدمة.....01

الفصل الاول: طبيعة الضحك.....07

- المبحث الاول: ظاهرة الضحك.....08
  - الضحك ظاهرةإنسانية.....08
  - لضحك ظاهرة فسيولوجية ونفسية.....10
  - الضحك ظاهرة استطيقية.....12
- المبحث الثاني :انواع الضحك.....14
  - الابتسام.....14
  - الضحك.....15
- المبحث الثالث: أسباب الضحك.....17

الفصل الثاني: الضحك في الخطاب الفلسفي.....18

- المبحث الأول: الضحك في الفكر اليوناني.....19
  - ا لضحك عند فلاطون..... 19
  - أرسطو و الضحك.....26
  - الضحك في الكوميدي.....28
  - بواعث الضحك عند ارسطو.....31
- المبحث الثاني:الضحك في الفكر الغربي 34
  - الضحك عند كانط.....34
  - الضحك عند شوبنهاور.....39
  - انواع الضحك عند شوبنهاور.....42
  - الجدية و الهزل.....45
- المبحث الثالث: الضحك في الفكر العربي.....46
  - الضحك في الاسلام.....46
  - الضحك عن الجاحظ.....48
  - خصائص فن الضحك عند الجاحظ.....48
  - بواعث الضحك.....57
  - مفهوم الضحك عند ابو حيان التوحيدي.....63
  - أهمية الضحك و أسبابه.....67

الفصل الثالث: مفهوم الضحك عند برغسون.....71

المبحث الاول:

- **المقدمة:.....71**
- **لمحة حول حياة برغسون و فلسفته.....72**
- **دلالة الضحك و خصائص المضحك.....74**

المبحث الثاني:

- **محاور الضحك عند برغسون.....79**
- **مضحك الاشكال و مضحك الحركات.....79**
- **مضحك الظروف و مضحك الكلمات.....85**
- **مضحك الطباع.....93**

المبحث الثالث:

- **وظيفة الضحك الاجتماعية.....100**
- **نقد نظرية برغسون.....103**
- **الخاتمة.....107**